صاحب المنجل
الكتاب الأول
آندرو أنور
Des . Hiba Ebrahim

صاحب المنجل

الكتاب الأول

أندرو أنور

رواية

الكتاب: صاحب المنجل الكتاب الأول

تأليف: أندرو أنور

تدقيق: أندرو أنور

النوعية: رو اية

الإصدار: 2024

التنسيق الداخلي: مكتبة كتوباتي

النشر الإلكتروني: مكتبة كتوباتي

support@kotobati.com

www.kotobati.com

كل الأفكار المذكورة في الكتاب لا تعبر عن الناشر تبقى افكار المؤلف ومكتبة كتوباتي لا تتحمل مسؤليتها

وكل الحقوق محفوظة لدى المؤلف.

الفهرس

المقدمة 5
الفصل الأول 6
"قصة أعين فاطمة: الجزء الأول" 6
الفصل الثاني 16
"قصة أعين فاطمة: الجزء الثاني والأخير" 16
الفصل الثالث 26
"قصة الرجل الضاحك: الجزء الأول" 26
الفصل الرابع 37
"قصة الرجل الضاحك:الجزء الثاني" 37
الفصل الخامس 47
"قصة الرجل الضاحك: الجزء الثالث" 47
الفصل السادس 58
"قصة الرجل الضاحك: الجزء الرابع والأخير" 58
الفصل السابع 69
"قصة يوم اختفاء القمر: الجزء الأول" 69
الفصل الثامن 80
"يوم اختفاء القمر: الجزء الثاني" 80
الفصل التاسع 91
"قصة يوم اختفاء القمر: الجزء الثالث" 91
الفصل العاشر 102
"قصة يوم اختفاء القمر: الجزء الرابع" 102

الفصل الحادي عشر 114
"قصة يوم اختفاء القمر:الجزء الخامس" 114
الفصل الثاني عشر..... 126
"قصة يوم اختفاء القمر: الجزء السادس" 126
الفصل الثالث عشروالأخير 138
"قصة يوم اختفاء القمر: الجزء السابع والأخير" 138

المقدمة

أراهنُ أنك قد سمعت في العديد من المرات عن إنسان يطاردهُ الموت ولكن ما لم تسمع به هو إنسان يبحث بكل شغف عن الموت حتى أصابه الجنون والحيرة...ولكي أكون أكثر تحديداً دعني أخبرك أنها سيدة تُدعى فاطمة وهي من قابلته شخصياً كما سوف يتضح في مغامرتنا التي علي وشك أن تبدأ.

أما عن السيدة فاطمة فكل ما يميزها عن غيرها هي أنها لا تريد أن تكون مميزة ولا أي شيء من هذا كله. .هي لا تريد إلا شيئاً واحداً وهو سؤال لصاحب المنجل أو كما معروف عنه أنه حاصد الأرواح

،والسؤال كالأتي بكل بساطة..:

-لماذا تركتني في هذا اليوم وأخذت الرضيع. .؟!..أخبرني لمن أتيت ،أنا أم هذا الطفل..؟!

والآن هيا لرحلتنا عبر هذا العالم أو ربما العوالم. .من يعلم ،سوف نرى ونحكم مع فاطمة هذه. .

***

الفصل الأول

"قصة أعين فاطمة: الجزء الأول"

كانت تمشي في صباح يوم مشمس.. ،يوماً حاراً في فصل الصيف. .
بطلتنا فاطمة وهي سيدة في أخر الثلاثينيات من عمرها ، صاحبة جسداً طويل وغير نحيف. .و شعراً أسود طويل يصل إلي منتصف ظهرها وهو غير مربوط كما تحب ،أعينها السوداء العادية وملامح وجهها التي توحي أنها أمرآة شرسة ذات شخصية قوية. .تحب اللون الأسود في كل شيء مثل ملابسها ومستحضرات التجميل التي تضعها.
هذه هي محور أحداثنا أو جزء منها علي الأقل والتي مع الوقت سوف نتعرف عليها وعلي طريقة عيش حياتها وعلي كل ما سوف نتعرف عليه معها. .،لدى فاطمة طفلان ،أحدهما في الخامسة من عمره وطفل أخر صغير لم يكمل سنة والنصف.
كانت تمشي إلي مكان عملها والذي هو أحد المستشفيات الحكومية ، تعمل هناك كطبيبة أطفال وهي معروفة هناك بالسيدة صاحبة القلب الكبير وهذا بسبب روحها الجميلة في التعامل مع جميع الناس هناك من عمال نظافة إلي أطباء من نفس مقامها. .،كانت تمشي دون

أن تستعمل عربتها وفي يدها حقيبتها المليئة بالكتب الغريبة والتي علي وشك أن نتحدث عنها بعد قليل.

وصلت إلي مكان عيادتها بعد وقتاً ،ووضعت طفلها الصغير في الحضانة المجاورة لمكان عملها وجلست في مكانها المعتاد أمام المكتب وقالت وهي تخرج الكتب من حقيبتها وتضعها أمامها في تعجب:

-ماذا معنا اليوم. .؟!

قالت هذا وفتح باب غرفتها دون أن يطرق ولتدخل سيدة قصيرة وسمينة صاحبة شعراً أصفر قصير وعليها ملامح الستينات وهي تقول في غضب وخشونة وبلهجة توحي أنها سيدة قصر تتحدث مع خدامها وليست كبيرة الأطباء في مشفى مع أطباء مثلها :

-فاطمة. .،ما سبب كل هذه الكتب يا فتاة ؟!

وقامت بطلتنا علي الفور من كرسيها وحتى أن سرعتها واضطرابها من صوت من دخل فجأة عليها جعلت بعض الكتب تسقط من علي المكتب وقالت وهي تضع يدها بجانبها في قلق وتلعثم:

-المديرة عائشة. .،ما سبب هذه الزيارة يا سيدتي في هذا الوقت المكبر ؟!

السيدة عائشة وهي مديرة المستشفي التي تعمل بها فاطمة وهي تعتبر أقدم موظفة في هذا المكان وهي من النوع الخشن والحازم ولا يهما شيء غير سمعة المكان التي قد كرست له حياتها كلها. .،فقالت رداً علي

فاطمة بشدة وهي تذهب إلي أحد الأرفف وتفتحها وليسقط منها ثلاث كتب غير أن هنالك ما لم يسقط بعد:

-فاطمة. .يجب أن لا تنسي أن هذه عيادة وليست مكتبة وإذا لم تجمعي كل هذه الكتب خارجاً قبل يوم الغد فسوف أجازيكِ يومان.

وأكملت وهي تغادر العيادة دون أن تنظر إلي بطلتنا التي ظلت صامتة وهي تبتسم :

-لا يهم هنا إذا كنتِ طبيبة أو ممرضة أو مجرد عامله. .بنسبة إلي جميعكم متساوين. .،هل كلامي مفهوم ،فاطمة ؟!

وقالت فاطمة بعدما غادرت المديرة وأغلق الباب مرة أخرى والابتسامة علي وجهها مازالت برغم ما سمعته من كلام قاسي :

-هذه العجوز أحب حيويتها ولكنها سوف تفقدني صوابي أكثر من ما هو مفقود. .

وعادت إلي كرسيها بعدما أعادت الكتب التي سقطتّ إلي رفها وأكملت إخراج ورص الكتب من حقيبتها وهي تحدث نفسها:

-سوق الأزبكية وكتبه الأثرية تجعلني أرتعش. .،ماذا جهزت لي يا عم جمال؟!

وعم جمال هو أحد كبار السن الذين يديرون دكان مخصص لبيع الكتب القديمة والتي تأتي له فاطمة كل يوم في بداية الأسبوع لتأخذ

مجموعه من الكتب التي قد جهزها لها سابقاً. .فبطلتنا تحب الكتب ،تحب لمس الورق. .تحب الحفاظ عليها أيضاً.

لم يكن الرف المخصص للأدوية هو فقط من في داخله كتب. .،لا بل هنالك أسفل المكتب وهنالك في داخل الدرج وحتى خلف ثلاجة الغرفة الصغيرة والتي تحتفظ فيها ببعض الأدوية السائلة.

بدأت تقرءا الكتب أمامها ،والذي منهما أثنين يعودان إلي أجاثا كريستي بعنوان:

"القضية الكبرى" و"ولم يتبقي أحد "

وكتاب أخر بعنوان:

"جزيرة الكنز" وكتاب "لم نعد نتحدث "

والخامس كان باسم:

"نديتُ أسمك " وهو للمؤلف أبيل تسفاي

كانوا خامسة وتبقى واحداً في الحقيبة. .، لفت نظر فاطمة بسبب غلافه الذي يوحى بأنه قديم. .قديم بمعنى الكلمة ،لم يكن علي الغلاف إلا عنو انه وكان "صاحب المنجل". .

وكان الكلام بالأسود علي غلاف بُني والعنوان في وسطه دون أي شيء أخر. .مما دفع بطلتنا أن تقلبه علي ظهره لتعرف أي بيانات عنه أخرى ولكن دون فائدة ،لأن ظهر الكتاب كان فارغاً بالكامل.

تعجبت فاطمة وهي تمسك بالكتاب في يدها ، تلفه يميناً ويساراً قائلةً:

-ما أمر هذا الكتاب. .؟!من مؤلفه. .متى كتب..عن ماذا يتحدث. .؟!
وفتحت الكتاب من الداخل ولتدخل علي مقدمة المترجم مما جعلها تتأكد أنه كتاب أجنبي ،وقالت وهي تقرأ بصوتً مرتفع:
-هذا الكتاب لعنة. .إذا وجده أحد ليحرقه من بعدي وهو يضحك فرحاً ، لأن من يقرأه و يتعمق فيه سوف يُصحب إلي مكاناً فيه أحداً يخاف الجميع منه. .،أنا مترجمه ودعوني أقول أن لا فائدة أن تعلم من أنا لأنك لن تقرأه من الأساس..لن أسمح بهذا صدقني. .،لا أريد أن أتسبب في هلاك أحد أخر ،يكفي ما حدث لي مسبقاً. .،الآن ربما تسأل بعد كل هذا لماذا ترجمته من الأساس ؟! سوف أجيب و أقول أني كنتُ مجبراً. .لا تعلم ما حدث معي أبداً..أغلق الكتاب فوراً ؟! أنا لا أعرف صاحبة ولا أعرف متى كتب ولا أين حتى ،كل ما أعلمه أنه ليس إلا لعنة قد تصيب من يقرأهُ..
و انتهت فاطمة من قرأت مقدمة المترجم ولتقول وعليها ملامح الإثارة وتشويق وكأنها قد عرفت الآن الكتاب الذي يستحق أن تبدأ في قر أته فيما بينهم. .:
-هذا الكتاب. .شيق من غلافه والمقدمة فقط. .،ماذا ينتظرني الآن. .؟!
ولكن لم تبدأ في قر أته ،لأنها عندما تفقدت ساعة يدها وجدتّ أن وقت العمل علي وشك أن يبدأ. .،لهذا وضعتهُ أسفل مكتبها حتى تنتهي.

و أتت الساعة السادسة مساءاً و انتهت فاطمة من عملها اليومي وخرجت من غرفتها ونست أن تجمع كتبها كما أمرتها المديرة في الصباح ولكنها لم تنسي أمر الكتاب الذي لفت نظرها.
أخذت هذا الكتاب فقط وهي علي أحر من الجمر لتقرءاهُ.

***

كانت تصعد درج منزلها ووصلت إلي الطابق الثالث والذي يسبق طابق شقتها التي في رابع. .ووقفت للحظات وكأنها قد تذكرت شيئاً لم يخطر علي بالها ولتلتفت يساراً وتدخل الممر الذي يفصل الشقق عن بعضها البعض.
البيت الذي تسكن فيه يتكون من أكثر من سبع طوابق كل طابق فيه ست أبواب يفصل بينهما ممرات. .قالت وهي تمشي في الممر ممسكةً بحقيبتها وفي يدها الأخرى كوب قهوة وعليها ملامح الانزعاج:
-أنهُ الثلاثاء ،سوف يغضب مينا..
ووصلت إلي هدفها وهي تقف أمام لافته مكتوباً عليها "عيادة الدكتور مينا لتأهيل النفسي " ودخلت علي الفور فهذه العيادة لا يغلق بابها أبداً ودخلت وهي تلتفت من حولها قبل أن تصل إلي المساعدة التي تجلس خارج الغرفة التي يجري فيها الكشوفات ولتسأل فاطمة الشابة أمهامها والتي من الواضح عليها أنها فتاة لم تكمل العشرين من عمرها والتي لديها جسداً مثيراً برغم سنها ولتقول وهي تبتسم:

-مرحباً. .هل مينا في داخل ؟!

ورفعت الفتاة وجهها بعدما لاحظت فاطمة وتركت الهاتف جانبها وقالت وهي ترفع شفتها عالياً مع تقويس حواجبها:

-تقصدين الدكتور مينا ؟!

وضحكت فاطمة لها:

-نعم الدكتور مينا. .

و أكملت فاطمة ساخرة في نفسها:

-بنسبة لكِ وليس لي..

قالت المساعدة رداً عليها:

-هل تردين أن تحجزي. .؟!

وقالت فاطمة وهي تتجهُ نحو باب عيادته وهي تقول دون أن تلتفت:

-هل هنالك أحد أم وحده. .

وقامت المساعدة في توتر بعدما وجدت أن السيدة أمهامها قد جاوزت قوسين أو أدنى من أن تلمس مقبض الباب:

-لحظة يا سيدتي لا يسمح لأحد بالدخول هكذا. .

وقبل أن تكمل فتح الباب ولكن من الداخل ليظهر شاباً صغير في العشرينات من عمره وهو نحيف الجسد وصاحب طول واضح وشعر طويل وناعم يصل إلي رقبته وهو يرتدي زي الأطباء الشهير صاحب اللون الأبيض والجيوب وقال وهو يبتسم:

-أنها معي يا ساندي. .

ودخلوا الاثنين وأغلق مينا الباب. .وفورأن دخلت تعجبت ساندي وقالت:

-ألم يقل البارحة لا وسائط وحتى إذا كانت أمهُ. .؟!غريباً أمرهُ. .

***

كانت الغرفة في الداخل تحتوي علي مكتب صغيرعلي جانب والجانب الأخركان الكرسي الشهيرعند أطباء النفس والذي يتمتع بطوله وعرضه عن أي شيء وكان أمامه الكرسي العادي بالعجل الذي يجلس عليه وفورأن دخلت فاطمة باب الغرفة ذهبت وفردت جسدها بالكامل عليه تاركتاً حقيبتها علي الأرض وليقول مينا وهو يبتسم جالساً علي كرسي أمامها:

-معلمتي. .لا حاجه لكِ أن تجلسي علي هذا الكرسي. .،أخبرك في كل مرة و أنت تصرين. .

وقالت وهي تشبك يدها وتضعها فوق بطنها وهي تنظر إلي السقف قائلة:

-أنت لا يثمر فيك شيئاً أبدا يا فتى. .

وقال في تعجب وهو يلف وجهه بعيداً في سخرية:

-هي حتى لا تدفع ثمن الكشف في كل مرة. .

وقاطعته قائلة:

-صوتك واضح. .

وضحكت وضحك من خلفها قبل أن يتابع مينا:

-لماذا لم تأتي أخر جلستين يا معلمة. .

وقالت في حيرة وهي تحرك يدها وتضعها خلف مؤخرة رأسها:

-لا أعلم. .أنا حتى لا أعلم لماذا أتيت اليوم ؟!

وقال مينا وهو يقدم ظهره إلي الأمام:

-سيدتي فاطمة. .أنا قبل أن أكون مثل أخيك الصغير وتلميذك أصبحتُ طبيبك الآن ،وصحتك النفسية شيئاً لا يجب أن ياستهان به.

.

وقالت فاطمة وهي تعيد يدها لتشبكها مرة أخرى:

-أعلم يا مينا هذا. .ولكن لا أعلم ما الذي يحدث لي هذه الأيام. .،أشعر أنني رجعت إلي الحالة التي حدثت لي قبل ثلاثين عاماً تقريباً و أنا في تاسعة من عمري. .

وقاطعها قائلاً:

-هل تقصدين اليوم الذي رائيتي فيه الرجل صاحب الفأس. .أخبرتك أن هذه تهيأت بعد الصدمة التي مرت عليكِ قبلها بلحظات..

وقامت الطبيبة من جلستها وعدلت وضع جسدها وقالت في عصبية وغضب:

-لم يكن رجل بفأس يا مينا. .لا ،أنا أعلم ما رأيته. .كان هيئة غريبة ،مغطى بالكامل برداء أسود ويرتدي علي وجهه شيئاً مثل قناع أبيض فيه فتحتين علي شكل أعين سوداء. .وكان يمسك بشيء مثل الأداء الذي يستخدمونها في حصد المحاصيل. .

وقال الأخر أمامها وهو يبتسم حتى يهدأ من حالها:

-يا معلمة أعلم ما تقصدينه ولكن لا تنسي أنكِ رايتي رضيع يموت أمامك في لحظتها. .

وقامت من مكانها وقالت في عصبية وهي تستعد لتغادر:

-لا أيها الفتى الأحمق. .أنت لا تعلم شيء ،لأني رأيت ملاك الموت قبل أن أرى الرضيع يموت ساقطاً أمامي. .أنا متأكدة من هذا. .

وصمتت وهي تمسك بحقيبتها مستعدة للرحيل:

-لم يأتي صاحب المنجل للرضيع بل كان لي ولكن حدث شيء لا أفهمه. .وكأنه ربما قد أخطأ

***

الفصل الثاني

"قصة أعين فاطمة: الجزء الثاني والأخير"

غادرت بطلتنا صديقها أو تلميذها الطبيب و أكملت الدرج لتصعد لبيتها وقد صاروفور أن دخلت وجدتّ أبنها الكبير يجري مقترباً منها قبل أن يقول متسائلاً:

-لقد تأخرتِ يا أمي. .

لتقول بطلتنا وهي تقترب منه بدورها ولتنزل بركبتها علي الأرض وهي تضع يدها فوق فروه رأسه وهي تبتسم:

-هل أنت زوجي أم ماذا ؟! من أنت لتخبرني أني تأخرت. .

وبدأت بأناملها تزغزغ أنحاء جسده وهي تتابع وهو يضحك:

-لا أرى المربية. .هل جاء أبيك ؟!

وهز الولد رأسه أجابيا لولدته مشيراً أن أبيه في البيت حقاً لتقول فاطمة وهي تقوم من علي الأرض:

-لقد رجع مبكراً. .

وطلبت فاطمة من أبنها أن يذهب للنوم قبل أن تمسك يده وتوصله لغرفته هو وأخيه الصغير الذي كان نائماً سلفاً. .وأوصلته إلي سريرة

وجلست بجواره وهي تحضنهُ وتواصل جعله يضحك بفرك جسده وقبلها كانت قد قبلت الطفل الصغير وقالت بطلتنا وهي علي وشك أن تذهب إلي نوم بجانب أبنها وهي تنظر إلي الصغير الأخر النائم سلفاً:

-هل تعلم يا سولي أن والدتك لا تريد إلا النوم مثل أخيك الصغير..

وقال الصغير وهو يقوم ويقف علي سرير لتتعجب فاطمة قبل أن يقول ببراءة:

-إذا لماذا لا تنامي بدلاً عني. .هكذا سوف تنامي الضعف و أبقي أنا وألعب بالهاتف طوال اليوم. .ما رأيك ؟!

ونظرت لهُ للحظات ولتبتسم قبل أن تضحك وهي تمسكه من أرجله لتغصبه أن يجلس مرة أخري وتقول:

-لا يسير الأمر هكذا وإلا قد كنتُ أخذت نوم والدك الذي ربما يأتي في أحد الأيام ويصبح أكثر كسلاً لدرجة أن لا يستيقظ. .

-نم. .نم أيها القرد..علي أن أقوم و أتفقد والدك. .

وقامت وذهبت إلي غرفة النوم ولتدخل ولتنظر إلي زوجها الغارق في عالم الأحلام والذي يتضح عليه من صوت شخيره القوي القريب من أن يكون مقطوعة موسيقية ذات لحنً فريد. .لتقول في نفسها وهي تغير ملابسها لتأخذ حماماً بارداً يخفف عن يومها في العمل:

-علي أن أعالجه. .،لقد زاد الأمر عن حده. .ربما يموت يوماً مختنقاً. .

***

انتهت بطلتنا من كل شيء لتستعد أن تنام ،ولتجلس بجوارزوجها وهي تحضنه بقوة وكأنها خائفة من شيء. .تحضنه وتعصره بقوة وكأنه ثمرة في يدها وهي تحويطة بيدها وأرجلها وهو في عالمه الخاص لا يشعر بشيء ،قبل أن تقترب من أذنه بوجهها وهي تقول:

- عزيزي. .لماذا أتيت مبكراً من العمل ؟! هل تشعر بالتعب. .

وأجابها زوجها والذي يتضح أنه رجل في منتصف الخمسينات وهو نحيف وضعيف الجسد وحتى أنه قصيروشعرة خفيف يكاد أن يكون أصلعاً وعليه علامات التعب وعندما أجابها لم يستخدم الكلمات لأنه مازال نائماً ولكن رد عليها بصوت شخيره الذي أرتفع فجأة ولتتابع فاطمة وهي تبتسم:

-أنت بخير هكذا. .لقد أطمئنتُ عليك ،الآن هل تريد أن تعرف ما كان يومي أم لا ؟!

ونفس صوت الشخير أجابها لتبتسم مرة أخري ولتتابع هي:

-اليوم في الصباح و أنا في طريقي للمستشفي وبعد وضعي للصغير في الحضانة القريبة توقفت لشراء بعض الطعام من الدكان أمام العمل ووقتها لفت نظري أثنين من كبار السن متزوجان علي ما أعتقد وكان الرجل يضحك برغم من ملامح التعب عليه وعلي الجانب الأخر زوجته العجوز التي تسنده وعليها ملامح القلق والحزن. .كان أمراً غريباً يا

حبيبي ،لقد كان مريضاً ويبدو عليه الألم ولكن كان يبتسم ويضحك وكأنه يفعل هذا لأجل امر أته وليس لأنه يريد فعل هذا. .

-لم يتوقف عن الضحك وحتى أنه رفع صوته وصرخ في زوجته العجوز قائلاً:

"أنتِ. .لماذا تبكي ،هل تعتقدين أني سوف أموت أم ماذا يا امرأ أنتِ يا مجنونه ،أنا أسد. .أنا قوي لستُ مثل هذا الجيل الضعيف. ."

-وتوقف قبل أن يضع يده فوق رأس حبيبته العجوزللحظات وهو ينظرفي أعينها التي تظهربالكاد من التجعيد حولها ،وصمت وكأنه يتذكر أيامه معها وقال مبتسماً:

"سوف أخرج حياً كالعادة. .لا تقلقي ،أخبرتك أنا قوي "

ودخلوا الاثنين معاً أمامي ولم تمر العشر دقائق كنت أنا فيها بداخل المستشفي القي سلام علي أصدقائي ورأيتُ فيها المرأة العجوز تبكي وتصرخ وهي تولول قائلة في حزن وألم:

"تركتني يا غالي. .تركتني وحدي "

-أرى مثل هذه الأشياء كل يوم ولكن المختلف هنا هو لماذا كان يضحك ،لم يكن قلقاً أنا متأكدة لا بالعكس كان فرحاً وهو يحاول أن يخفف عن امر أته. .لقد جعل جسدي يقشعر من حالته ،ربما كان يريد البكاء من شدة خوفه ولكنه لم يظهر هذا وظل صامداً محاولاً أن يخفي

توتره من الموت ،ولماذا كل هذا ؟! لأجل زوجته. .؟!كان شيئاً غريباً قد رأيته !

وصمتت فاطمة بعدما تذكرتً شيئاً وقامت من علي السرير وهي تحدث صابر النائم:

-لقد وجدتُ كتاباً شيق سوف أتفقده و أتي لك سريعاً ولنكمل حديثناً. .

و أكمل الرجل شخيره وهو مثل الميت لا يشعر بشيء من حوله. .

***

بيت فاطمة يتكون من ثلاث غرف نوم غرفة للأطفال وغرفه لها هي وزوجها وغرفة أخرى هي مغلقة ومفاتيحها معها هي فقط ولا يسمح لأحد بدخولها.

قامت بطلتنا وأحضرت الكتاب الشيق والمفاتيح و اتجهت لهذه الغرفة ولتفتحها وفور أن حدث وفتح الباب سقطتّ بعض الكتب أمامها ،لتفزع فاطمة وهي تقول في نفسها ساخرةً:

-لهذا لا أسمح بدخول أحد هذه الغرفة. .

ودخلت وهي تجمع الكتب من علي الأرض المرصوصة أقواماً مثل التلال بعدما أضاءت نور هذه الغرفة المرعبة والتي تزرع في داخل الفرد شعور عدم الراحة. .،مشت إلي أن وصلت لمكتب الغرفة القابع في

أخرها أمام الجدارومن حوله وعليه صفوف من الكتب أكثر من التلال التي ذكرت سابقاً.

بيدها أزالت التراب علي الكرسي وبنفس يدها وضعت الكتاب علي المكتب بعدما جمعت الكتب من عليه ووضعتها علي الأرض وقالت بصوت مسموع وهي تحدث نفسها:

-ربما أقرهُ في يوماً أخر بعد أن أنظف كل هذا الغبار. .

ولكنها فجأة نظرت إلي غلاف الكتاب وشعرت بشيء غريب يتضح من نظرتها وهو أن الكتاب يناديها. .نعم كان الكتاب يحسها أن تقرأهُ الآن ،مما جعلها تجلس وتضعه أمامها وهي تفكر في داخل نفسها ساخرة:

-ما أمر هذا الشعور. .،لماذا أشعر أنه حي ويناديني. .هل لعنة التي تحدث عنها المترجم صحيحة أم ماذا ؟!. .

و ابتسمت قبل أن تتابع في نفسها وهي تسخر من حالها:

-لعنة ؟! ما هذه الخر افات التي أقولها. .مشاهدة الأنمي في صغري قد أثرت علي أم ماذا؟!

ووضعت يدها علي الغلاف وتحسست ملمسه بأناملها قبل أن ترجع بظهرها للخلف وقالت في تعجب وصوت مسموع محدثتاً نفسها:

-لم اللحظ هذا في العمل ولكن يبدو أن الغلاف كان عليه رسمه ولكنها باهته وليست واضحة من عامل الغبار والرطوبة. .

وكان علي ملامح بطلتنا فاطمة بعدما فتحت ورقة مقدمة المترجم للمرة الثانية شيئاً من عدم الفهم والحيرة وهذا بسبب لمسها للورقة والتي يتضح أنها جديدة أو بالتحديد غير ورقة الغلاف أو باقي لون الأوراق الواضحة ،مما جعلها تفكر قليلاً وتستنتج قائلةً وهي تبحلق فيه بسرحان:

-هذه الورق تمت إضافتها للكتاب ،فهي باهته ولكن ليس بنفس درجة ورقة الغلاف أو أي شيء أخر فيه. .هذا الكتاب أمره غريب ،ربما أنهي الفصل الأول الليلة حتى أفهم عن ماذا يتحدث وما أمر اللعنة التي ذكرها المترجم. .

وقلبت فاطمة الورقة ولتجد شيئاً عجيباً وهو صفحة باهته بنفس ورقة الغلاف وكانت الورقة فارغة من الكلمات كلها إلا كلمة المقدمة المكتوبة في رأس الورقة ولتقول بطلتنا بعدما رمقت الكتاب بنظرة قريبة من العصبية ،فبرغم أنه مجرد كتاب ولكن شعرت أنه حي ويراوغها ولتقول وهي تتفحص الورقة وتقربها من أعينها:

-هل تمزح معي أم ماذا ؟! أين مقدمة المؤلف نفسه. .أين اختفت ،هل الرطوبة جعلت الكلمات تختفي. .،لا. .لا كان سيظهر علي الأقل باقية حبر أو أي شيء ولكن الواضح هنا أن الورقة فارغة حقاً. .

وأغلقت الكتاب ووضعته أمامها وذهبت وأحضرت هاتفها ولتتصل بالعم جمال الذي اشترت منه الكتاب ولتسأله بعدما أجابها:

-عم جمال. .لقد أعطيتني كتاباً فارغاً

ورد عليها الأخير بنبرة ضعيفة يتضح منها أنه كبير في السن وكهنه:

-أي كتاب هذا يا ابنتي الطبيبة. .؟!

وأجابته فاطمة وهي ترجع للجلوس وتمسك بالكتاب:

-كتاب صاحب المنجل. .لا يظهر عليه مؤلفه ولا حتى تاريخ ولا رقم طباعة ولا أي شيء يا جمال ،ربما كنت ستتخلص منه ولكنك وضعته بالخطأ عندي. .

ورد عليها العم قائلاً في حيره:

-ربما. .،لأني لا أتذكر أني وضعته في مجموعتك الأسبوعية من الأساس. .

وصمت قليلاً وتابع:

-تعالي غداً سوف أجهز لكِ كتاباً رائعاً بعنوان "أريد أن أكون ملكك" كتاب رائع قرأته و أنا صغير كنتُ أبحث عنه لمده ووجدته يوم أمس. .

وو افقت فاطمة علي كلام العم العجوز ولتمسك الكتاب وتتفحص أوراقة وهي غاضبة وحتى أنها أصبحت تشد علي الورق بأصبعها وقالت بصوت مسموع بكل غضب:

-كتاب فارغ ما هذه المزحة. .قرأتُ مئات الكتب حتى لا أعطي فرصة واحدة لعقلي أن يتذكر ما حدث لي في اليوم الأسود. .يوم موت الرضيع

أمامي عيناي ويأتي هذا الكتاب ويقلل من شأني. .تباً ،هذه أول مرة أرى كتاباً دون أحرف. .

كان الكتاب بين أيدي فاطمة مكون من أكثر مائة صفحة ولم يتخطى المائة وخمسين وكانت كل الأوراق فارغة من كل شيء حتى كلمة الفصل الأول وثاني وهذه الأشياء لم تكن موجودة علي عكس المقدمة التي كتبت دون كلمات أسفلها. .كانت الأوراق كلها بعامل الأتربة والأوساخ ومعهم عامل الرطوبة قد تأثروا جميعاً إلا ورقة مقدمة المترجم التي قالت عليها فاطمة أنه تمت إضافتها عن قريب وأنها غير الورق الأصلي.

***

كانت تنام بجانب زوجها الذي فتح أعينه أخيراً ولاحظ أنها بجانبه ليمسكها ويأخذها بين ذراعيه ولتبتسم له وكأنها بهذا قد أحست بالأمان برغم من صوت شخيره ورائحة أنفاسه التي كلها سجائر. وبعدها بلحظات نامت بطلتنا أخيراً قبل أن تشعر أن جسدها كله يمطر عرقاً وصداع قوي جعلها تقلق وهي نائمة ولا تقدر علي الاستيقاظ والحركة وحتى أنها قالت وهي تصرخ و اقفةً في سواد داخل مخيلتها:

-أين أنا. .ما هذا الظلام من حولي. .؟! لماذا أشعر أني تعبة ومرهقة. .هل أحلم أم ماذا ؟! ليوقظني أحد. .أنا خائفة. .هل سأموت أم ماذا. .حبيبي أيقظني الآن. .لا تتركني..

وفجأة وهي تصرخ وجدت نفسها تقف بين حشداً من الناس في وسط سوق ولتجري ولتوقف الناس دون أن ينتبه لها وكأنها غير موجودة ولتقول وهي تصرخ وتبكي:

-أين أنا. .كيف وصلتُ إلي هنا ،ما الذي حدث لي. .أين زوجي ،أين أطفالي. .أين أنا. .

ووسط نوبتها سمعت أحد الأطفال وهو يجري وينادي وكأنه يعلن عن شيء ما:

-بناء سور المملكة. .الملك يريد متطوعين للعمل في نقل الحجارة ورصها. .هيا سريعاً قبل أن يكتمل العدد..

حاولت فاطمة أن توقف الطفل ولكنها فور أن وضعت يدها عليه تأكدتّ أنها لا ترى ولا تلمس أيضاً وكأنها بلا حضور مثل الهواء تماماً..لتجلس علي الأرض ولتضم قدميها وتدفن رأسها بينهما وهي تبكي والناس يشمون عليها ومن جانبها دون أن يشعروا بها ولتقول في حسرة وخوف عظيمان:

-أنا خائفة..

***

الفصل الثالث

"قصة الرجل الضاحك: الجزء الأول"

توقفت بطلتنا عن بكائها وقامت من جلستها وهي تمسح دموعها ولتبدأ في المشي عشوائياً في أروقة وطرق ضيقة مليئة بالوحل والأوساخ.
كانت تمشي بين الناس وهي تحاول أن لا ترتطم بأحد برغم أنها شفافة بالكامل ولا أحد يلاحظ وجودها. .،تسير في صمت وهي تنظر إلي شكل الأبنية البسيطة المصنوعة من الصخر والقش ومعهم الأخشاب. .بيوتاً صغيرة ذات أبواباً من الستائر وهي تصطف بعشوائية مما يؤدي إلي ضيق الطرق وعدم استقامتها.
انتهت من التأمل في شكل الأبنية لتقول وهي تقف في منتصف مكانا يعج بالناس وأشاعه الشمس فوق رأسها تجعلها غارقة في العرق وتصيبها بالصادع. .فقالت في نفسها وكلتا يدها فوق رأسها:
-هذا بكل تأكيد حلم. .أنا أحلم ،ولكن أشعر بشيء غريب. .شيء يجعلني أشعر أن كل ذلك حقيقي تماماً وهذا مستحيل. .شكل البنايات توحي أني رجعت بالزمن لألف السنين أو حتى يوحي بأني في

عالم من الخيال تماماً ،ما الذي يحدث لي ولماذا أنا أرتدي قميص وبنطال طويلان وصندل. .

وبدأت تمشي في حيره واضحة وتشتت يظهر من حركة يدها وقدميها وكأنها تحدث نفسها ونفسها تجيبها:

-ربما أستيقظ الآن في أي لحظة. .ولكن حتى لو استيقظت كيف سوف أفسر هذا. .

وقاطع تفكيرها شيئاً قد ارتطمت به وهي تسيروعينها علي الأرض من شددت سرحناها وحيرتها، ولترفع وجهها وتجد أن هنالك جسداً ضخم أمامها ذا طولاً وعرضاً واضحان يختبئ خلف عباءة سوداء وعلي وجهه قناع أبيض وفي يده منجل كبير أطول منه ،ولتقول فاطمة وأعينها قد تكاد تخرج من مكانها من شددت ذهولها:

-أنهُ أنت. .،أنه أنت من رأيته قبل أن يسقط الرضيع أمامي. .أنت صاحب المنجل ،ملاك الموت. .

وفورأن قالت هذا رفع يده ورجع خطوة للخلف وقال بصوت يبث الرعب في أذان من يسمعه من شدة برودته وحدته في نفس ذات الوقت:

-سوف نلتقي قريباً يا إنسان ووقتها سوف أجيبك عن سؤالك. .والآن استمتعي بالعرض. .

وفارقت قدميه الأرض وقبل أن يطير إلي السماء صرخت فاطمة وهي تراه أمامها يغادر في الهواء :

-أخبرني هل أتيت لي أم للرضيع. .وأي لقاء قريباً سوف يجمعنا وما العرض الذي تتحدث عنه ،أخبرني أين أنا. .أين زوجي وأطفالي ،ما الذي سوف يحدث الآن. .

وبكت بعدما انتهت واختفي هو بدوره لتكمل فاطمة مسيرتها وهي تمعن النظر في ملابس وأجساد القوم حولها ولتقول:

-أجساد بيضاء قريبة من الاسمرار مثلنا في مصر. .،وشعرهم غريب فهو طويل وناعم وينقسم بين اللون الأبيض والأسود القريب من البني عندما يتساقط عليه أشعة الشمس.. وملابسهم من القماش والقطن وهي مهرولة ومليئة بالفجوات ،يرتدوا الرجال البناطيل الواسعة والفتيات يرتدون الفساتين القصيرة في وسط الشارع ولا أحد ينظر لهم ببشاعة ،هذا جميل إلي حداً ما..

وتابعت فاطمة الحركة وعندها نظرت إلي السماء بعد وقتاً ورأت الغروب والناس يبدءون في الرجوع إلي منازلهم وإغلاقها بالستائر فلا أبواب لها ولتقول السيدة الشفافة وهي تمشي في زقاق علي وشك أن يظلم بالكامل:

-الآن ما الذي يجب علي فعله. .أنا لا أري ولا ألمس ولا أشعر بالجوع أيضاً أو حتى العطش برغم من مشي كل هذا وعدم راحتي. .ما الذي يحدث لي ،ما الذي علي فعله الآن يا ترى. .

وعندما رفعت أعينها للسماء وهي تغادر الزقاق ناظرةً إلي شيء مثل جبل أو تل كبير من بعيد وقالت في تعجب وحيرة:

-ما أمر هذا الشيء. .هل الجبل ملون أم أنا أتخيل. .أنه بعيد أنا أجزم وبرغم من هذا فهو يظهر بوضوح..

وقاطع صوت صراخ فتاة صغيره حبل أفكراها حول ما تراه أعينها . .،ولتتبع فاطمة صوت الصراخ ولتجد مصدره في نهاية أحد الأزقة القريبة من مكان تواجدها وعندما اقتربت أكثر وجدت ثلاث أولاد صغار وحدٌ منهما يمسك شمعة في يده ويضيء للاثنين الأخريين الذين يضربون فتاة بأرجلهم وهم يقولون بعصبية:

-لا أحد يحبك يا كادي. .أنت شيطانه وغريبة الأطوار سوف تموتين عما قريب. .

ونزلوا بأرجلهم ضرباً فيها وفاطمة تصرخ فيهم وهم لا يسمعونها ولا يرونها وحتى أنها بكت علي الطفلة التي لا تقدر حتى علي الصراخ.

.،وصرخة فاطمة وصرخة دون توقف وهي تبكي محاولة أن تنقذ الطفلة الصغيرة من هذا الجحيم حتى نادت أن يأتي أحد لمساعدتها ولتمر بضع الثو اني قبل أن يأتي رجل شاب في سرعة وهي يفتعل

أصوات كلاب وأسود ليخلق الرعب في الأولاد والذين عندما سمعوا الصوت ركضوا خائفين وهو يصرخون:

-وحش. .وحش. .أجروا جميعاً

وحتى أن الطفل الممسك بالشمعة قد أوقعها أثناء هرولته. .وفرحت فاطمة وهي تشكر الشاب الذي لا يراها ولا يسمعها والذي أمسك بالشمعة و أقترب من الفتاة الصغير التي بعد كل هذا لم تبكي برغم من سيلان الدماء من أنفها وشفيتها وبعض الكدمات علي وجهها و أنحاء جسدها أيضاً وقالت بعدما ووجدت الشاب يقترب منها ويضحك ويبتسم لها وهي ترفع يدها وتضعها علي خده:

-أخي الكبير بس ،لقد أتيت أخيراً. .

وقال وهو يضحك لها ويحدثها بنعومة قبل أن يحملها علي ظهره وهو يصدر أصواتاً غريبة تجعلها تضحك وسط ألمها:

-أسف. .أسف يا كادي لقد تأخرت في تكسير حجارة السور اليوم ،سوف أعوضك عن هذا. .

ومشى "بس" هذا بطريقة مضحكه ،ماشياً يقفز في حركات بهلو انية مصدراً أصوت غريبة مضحكة والفتاة علي ظهره تصرخ ضحكاً وكأنها قد نست ما تعرضت لهُ قبل لحظات ،وحتى أن فاطمة التي كانت حزينة علي الفتاة الصغيرة وتبكي قد ضحكت بدورها وهي تحاول أن

تكتم ضحكتها ناسيتاً أنها غير موجودة من الأساس وتبعت بطلتنا الشاب بعدما شعرت ببعض الفضول حوله.

***

وكان عمر الشاب يتراوح بين الخمسة وعشرون إلي الثلاثون تقريباً. ..وكان طويل الجسد ونحيفاً قليلاً ،أملساً بالكامل وذا شعر ناعم بُني طويل ومربوط. .يرتدي مثل جلابية دون أكوام ،قصيرة أيضاً وهي مليئة بالأتربة والفجوات ،كان صوته مريحاً وهادئ. .ودائماً ما يبتسم ويحرك أعينة وعضلات وجهه في طريقة تبدو مضحكة.

تابعت فاطمة هذا الشاب المدعو"بس" وهو يحمل الفتاة الصغير "كادي" التي نادته بأخي الكبير. .وكان الاثنين يعيشون في كوخ صغير مثل باقي الأكواخ من حولهم ،ولكن الغريب أن في داخل هذا الكوخ لا شيء غير قطعة قماش تنام عليها الفتاة وشمعة صغيرة ولا شيء أخر و أيضاً كانت الأرض غير متساوية وجزء من السقف ألقشي علي وشك أن ينهار.

كانت فاطمة تقف أمامه وهو يضع الفتاة علي فرشة الأرض والتي كانت شبه نائمة حتى أجلسها ولتفوق وتقول في تعب وهي تمسك بيده وتحضنها:

-أخي. .لماذا يستمرون في مناديتي بالشيطانة وغريبة الأطوار. .

وكان يبتسم لها وهو يضع يده الأخرى علي شعرها وقال:

-لا يهم ما يقولون ،فأنتِ لستِ كذلك. .أنت جميلة وذكية. .وقوية أيضاً ويكفي أنك لا تبكي أبداً. .

وقاطعته الفتاة الصغيرة وهي تشد علي يده قائلة بقوة وحزم برغم سنها الذي لم يتجاوز العاشرة بعد:

-ولن أبكي أبداً. .،هل تتذكر يا أخي العهد الذي أخذناه قبل عامين عندما مات أبي. .لقد أخبرتني و أنا أبكي حزينة في حضنك أن لا أبكي وأضحك و أنت ضحكت أمامي برغم من دموعك مما جعلني أفعل مثلك. .

وقال الأخ وهو يصحب يده ويقوم متجها للخارج:

-نعم أضحكِ وأستمرِ دائماً في ضحك يا كادي مهما حدث. .

قالها وأصدر بعدها بعض الأصوات والحركات بيده وقدمه لتضحك كادي وليخرج هو ويجلس أمام الكوخ ولتقترب فاطمة من الفتاة وتنظر إلي جروحها التي هي بسيطة بعدما تم تضميدها وغسلها بالماء ،قالت فاطمة بعدما جلست بجورها:

-عليكِ أن تكوني شاكرة بوجود أخاكِ هذا. .،فهو رائع. .

وصمتّ للحظات و أكملت في حيرة:

-ما قصتك يا صغيرة. .ما أمر شعرك الأخضر التي تغطينه بقماشه ،أنت مختلفة عنهم هل هذا سبب ما حدث لكِ أم هنالك شيئاً أخر. .

وصمتت مرة أخرى وهي تصب نظراتها علي باب الكوخ قائلةً وهي تبتسم وكأنها تحدث الطفلة :

-وما أمر هذا الشاب. .لماذا هو يبتسم دائماً برغم من ما حدث لكِ ،هل هو مجنون أم ماذا ؟! وما خطب هذا الوعد بينكما ولماذا أحد يضحك بعد موت أبيه. .هنالك شيء لا أفهمه بينكما أنتما الاثنين ،هل أنتما أخوة من الأساس. .لأني أري فارق سن كبير ربما أكثر من عشرون عاماً علي ما أعتقد. .

وكانت علي وشك أن تتابع قبل أن يدخل الشاب من ستارة الكوخ وهو يقترب من أخته وهو يمشي بطريقة غير متزنة وكأنه ربما يرقص فرحاً ،و أقترب وهو يضع يده علي جبينها ليتأكد أنها ليست مريضة وبخير ونائمة. .وبعدها قال:

-أنتِ بخير. .ودائماً سوف تكونين يا أميراتي ،لن أتركك أبداً. .أنا أسف لأني تأخرتُ عليكِ اليوم ولكن اعتقدتُ أني إذا عملت في بناء السور ربما أكون قريباً من القصر الملكي وهكذا ربما نعرف ما يحدث في داخل بعد هروبنا. .أم ما رأيك يا أميراتي ؟!

و ابتسم وتابع وكأنه يجيب علي نفسه:

-لا تهتمي بأمر كل هذا. .،فأنت صغيرة علي تحمل كل هذه المسئولية. .لا تحملي هم شيء ،القائد رولو سوف يعتني بكِ دائما يا أميرة آسلوج ذات الشعر الأخضر الفريد والملكي ،يا ملكة بلاد ما وراء النهر. .

وكانت فاطمة تستمع لكلامه ومقلات أعينها علي وشك أن تخرج من وجهها بعدما كانت تعتقد أنه هنالك أمر ما بينما الآن أصبحت متأكدة وبعدها لاحظت أن الشاب بس أو القائد رولو يقول بجديه وملامح وجهه قد تغيرت بالكامل وكأنه إنسان أخر تماماً ، ألتفت ناحيتها ونظر لها برغم من يقينها أنه لا يقدر علي رؤيتها :

-الآن هنالك شيء يشغل بالي منذ رؤيتك أول مرة في سوق. .

ونظرت فاطمة لهُ بصدمة غير مصدقة أنه شعر بوجدها وليردف بغضب وتعجب يرفقهما بعض الخشونة الظاهرة علي نبرة صوته:

-من أنتِ يا سيدتي. .؟!

ولحظتها قامت فاطمة من علي الأرض ورجعت للخلف خطوتين وهي تقول بملامح تعجب:

-كيف. .؟! كيف تراني ؟! هذا لا يعقل

وقام هو بدوره وقال ببرود وفي حيره معها:

-لقد رأيتك في سوق تظهرين في الصباح فجأة من العدم في وسط حشود الناس وهم يمرون من خلالك ولا يشعرون بوجودك ولا يقدرون حتى علي لمسك. .ما أنتِ ،هل أنتِ روح ذات لعنة أم ما أمرك. .؟!

وقالت فاطمة في خوف منه بعد كلامه:

-لا. .،لا لستُ روح أو شيء من هذا القبيل صدقني. .

وهز القائد رأسه قائلاً:

-هذا جيد. .

وتابع بعدما رجعت ابتسامته:

-لأنك إن كنتِ كذلك فسوف أقتلك علي الفور. .

وقالت فاطمة في داخلها غير مصدقة ما قد قاله:

-ما أمره لقد صدقني من أول مرة. .هو حتى لا يحاول أن يوقعني في الكلام، أنه ساذج أو ربما أحمق. .

وتابع القائد:

-حسنا قولي من أنتِ يا سيدة. .وما علاقتك بنا ولماذا تتبعيني. .؟!

وقالت فاطمة في خوف:

-أنا لا أتبعك يا قائد. .أنا حتى لم أعرفك إلا الآن. .لقد سمعت صوت الصراخ الطفلة فركضتُ نحوها سريعاً ولقد ظهرت أنت بعدها وتبعتك لأني وجدتُ أمرك غريباً و أيضاً لأطمئن علي الفتاة. .هذا كل ما في الأمر صدقني. .

وقال القائد وهو يبتسم:

-حسناً صدقتك لا داعي أن تقولي المزيد. .

ولم تفهم فاطمة سهولة تصديقه لها بهذه السرعة لتقول في نفسها وهي تضحك:

-هذا الرجل ما خطبة لماذا يصدقني بهذه السرعة أنه حتى لا يحاول أن يكون جدياً. .أنه غريب الأطوار حقاً. .

وقاطعها القائد الضاحك وهو يمد يدها محاولا أن يلمسها ولكن دون فائدة :

-ها. .أخبيرينِ الآن من أين أتيتِ وما أمر عدم وجودك هذا. .

وشرحت لهُ فاطمة كل شيء قد حدث لها من لحظة نومها إلي الآن

وليقول في حيرة:

-إذا أنت تقولين أن كل هذا مجرد حلم ؟!

وهزت فاطمة رأسها إيجابية وليتابع هو بعدما قام من جلسته في حيرة.

:.

-أحترم كلامك يا سيدتي ووجهت نظرك ولكن لماذا لا يكون العكس.

.لماذا لا تكون حياتك الأخرى هذه هي الحلم وليس حياتنا. .

***

الفصل الرابع

"قصة الرجل الضاحك:الجزء الثاني"

يحكى أن كياناً قد ظهر من العدم وبدأ معه الوقت ،لأنه قبل الوقت قد كان ،كياناً لم تره عين. .أبيضاً لا حدود لهُ ،خلق من قوته نوراً أصفر وخلق من النور أرضاً سوداء وأمرهما أن يكملوا بعضهما البعض قائلاً:

-تضاء الأرض السوداء بنورك يا أصفر. .

وقد حدث و انعكس النور علي الظلام وتابع هذا الكيان العظيم:

-لا يتواجد النور إلا خلفه الظلام يختبئ منه. .ولا ظلام يفور علي نور لأنه خلق من نور. .

وبعد مدة تزوج النور الظلام و أنجبوا أرضاً صغيرة والتي عاش عليها البشر،ولم يطل الأمر حتى ظهر النزاع من الظلام أمام النور وهو يقول في استنكار:

-يا نور ألا ترى أنك أكبر مني بكثير. .لما لا تعطيني بعضاً من نورك ،لن يصيبك شيئاً ولم يؤثر عليك شيئاً أيضاً. .

وقال النور للظلام والأرض بينهما:

-يا ظلام أنا و أنت واحد. .لماذا قد تهتم حول النوروالحجم ،من جعلك تفكربهذه الطريقة ؟!

وأجاب الظلام في عصبية وحتى أن هالته السوداء قد زادتّ علي النور المنعكس عليه:

-أنا أفكرفي هذا منذ لحظتي الأولى. .،لحظتي الأولى و أنا أفتح أعيني علي نورك الساطع الشديد. .أنت دائماً هكذا يا نورساطع و أنا مظلم. .أعطيني بعضاً من نورك وسوف ننهي الأمر،أعطني هيا لديك الكثير وحتى أن كل يوم تزداد شيئاً فشيئاً. .ليس لديك ما تخسره. .

وقال النوربحكمة:

-حتى إذا أردتُ أن أعطيك القليل من نوري كيف وقتها لن يكون هنالك ظلام. .فكرقليلاً أنا و أنت لا فارق بيننا ،خلف نورظلام هذا ما قيل ويجب..،نحتاج بعضنا البعض.. ،أنت تتغذي علي نوري و أنا علي ظلامك. .نحن نكمل بعض يا ظلام. .لماذا لا تفهم ؟!

ورحل الظلام عن مكان النوروشعروقتها بالضعف وهو يحدث نفسه في غضب:

-هذا النورمغروروبخيل. .،هوكبيرو أنا صغير.. ،هولديه هالة قريبة من هالة الكيان الأبيض و أنا هالتي ضعيفة بالكاد تظهر. .فقط القليل من نوره سوف يجعلني سعيد. .

وقاطع صوت غيرواضح تفكيرالظلام وهو يناديه قائلاً:

-يا ظلام. .أحسنت ،أكمل. .

وخاف الظلام من الصوت وظهرت عليه علامات الخوف والقلق وقال وهو يلتفت من حوله:

-من أنت. .هل أنت الأرض ؟! هل أنت شمس ؟! هل أنت الكيان الأبيض ؟!

وأجابه الصوت وهو يضحك:

-لا يا ظلام لا. .أنا لستُ الأرض ولا الشمس. .ولا حتى الكيان الذي أوجدك. .

وقال الظلام وهو يجلس علي ركبتيه واضعاً يده علي رأسه بعدما شعر بألم:

-ما هذا الشعور؟ وكأن أحد يصرخ فيّ. .أخبرني من أنت إذاً وما هذا الشعور؟!

وقال الصوت وصرخ الظلام يزداد من الألم:

-أنا صوت غيرتك. .أنا صوت ضيقك. .أنا صديقك الذي كان معك ويراك دائماً. .أنا هو أنت يا ظلام ،والآن دعنا نسقط النور..

قال الظلام بعدما زال الألم:

-لا أعرفك ولكنك تريحيني بكلامك هذا. .لنسقط النوريا صديقي ،لنسقطه إلي الأبد حتى يعلم أنه ليس الوحيد القوي هنا. .

وقرر الظلام أن يدخل في عراكاً مع النور وقبل أن يصطدم الاثنين ظهر الكيان الأبيض بينهما ليخافوا وليتراجعوا وهو يقول بقوة:

-يا ظلام ما أنت فاعل ؟!

وقال الظلام وهو يقف أمام الكيان:

- أريد نوره. .

وقال الكيان:

-ولماذا تريد شيئاً هو لديك ؟!

وقال الظلام في عجب:

-كيف لي وهو أمامي مباشرةً. .هل تراني أعمى ؟! أنه موجود أمامي يضيء بالكامل. .أعطني كما أعطيته. .

وقال الكيان:

-يا ظلام من نور قد خلقتك ،ألا تفهم ؟!

وغضب الظلام:

-لا. .

قال الكيان:

-لا نور دون ظلام ولا العكس. .لا فعل دون فاعل ،لا كلمة دون صاحب. .لا مملوك دون مالكهُ. .،لا أبيض دون أسود..

قال الظلام في تعجب:

-ما الذي تقوله أنا لا أفهم. .

ووقتها قال النور أيضاً:

-لقد فهمت قصدك الآن. .كنت أقولها و أنا لا أفهم ولكن الآن قد فهمتُ ما تعنيه. .

وغضب الظلام أكثر لأنه لا يفهم وتجاهل الكيان و اتجه ليصطدم بالنور قبل أن يقول الكيان:

-يا ظلام بسببك أنت تكون لعنة ورمز لكل شيء يرفضني ويرفض كلمتي. .،يكون ظلامك رمزاً للشر وتكون جماداً لا ينطق وتصبح دائرياً لأن الشر في داخلك أبى أن يستمع لكلمي ولا نهاية له. .

وقد حدث وتحول الإنسان هذا كوكب صغير تعيس ومظلم وأما الشمس فقد طلبت من الكيان أن تجعله كشكله ليسألها الكيان عن السبب لتقول لهُ وهي تبتسم:

-أنت تعرف سلفاً. .

-قد عشنا أمام بعضنا ملايين السنين يا سيد وكما قلت أنت لنا أننا واحد ولا يقدر أن يعيش أحدنا دون الأخر. .و أنا بدونه يا سيد سوف أكون بلا هوية لأنه يكلمني. .علي الأقل إذا كنتُ مثله فسوف نكمل بضعنا البعض. .الظلام والنور ولنرعى الأرض أبنتنا هكذا. .أليس هذا ما يجب أن يحدث ؟!

وقال الكيان بعدما حولها هي والأرض التي كانت في حضن الشمس:

-خيرٌ ما قلتهُ يا نور ،وشرفاً لك أجعل أرضك هذه تحمل روحي من الآن صاعداً. .حتى يأتي وقتاً يفهم فيه الظلام معنى كلامي وينزع من داخله شعور الغيرة. .

***

كان هذا رد القائد علي سؤال فاطمة عن أمر هذا العالم وكيف أنشئي ،وكانوا وقتها يسيرون في الشارع برفقة كادي التي كانت تعتقد أن الإجابة لها ولكن الحقيقة أن رولو كان يتحدث مع فاطمة ولأنه الوحيد الذي يراها ويقدر أن يحدثها كان يجب أن يتكلم مع أحد موجود سلفاً حتى لا يظنوا مجنون. .،وقالت كادي وهي علي ظهر بس بعدما ملت من القصة:

-أخي لماذا تتكلم عن هذه القصة الآن. .لقد أخبرتني بها كثيراً ،ولما أحضرتني معك ؟!

وقال بس وهو يبتسم لها دون أن يدير رأسه:

-ماذا ؟! ألا تحبي قصة خلقنا يا كادي ! كيف هذا ؟! كبار السن والعجائز فقط من يكرهونها ؟! هل أصبحتِ عجوزيا كادي أم ماذا ؟!

وكانت فاطمة تضحك عليه وطريقة كلامه مع ابتسامته العرضية حتى أجابته أخته الصغير في غضب:

-لا أنا لستُ عجوز. .أمامي مائة سنة حتى أصبح هكذا ،أنت ستتحول إلي عجوز أولاً يا بس. .

وضحك لها وهو ينظر إلي فاطمة:

-نعم سوف أصبح عجوزاً أولاً ولكن قبلها سأنتهي من بعض الأشياء يا كادي. .

وتغيرت ملامح فاطمة من الضحك إلي الضيق لأنها قد فهمت ما يقصده القائد وقالت وهي تعرف أن كادي لا تسمعها ولا تراها:

-لديكِ جندي مخلص وقوي يا أميرة. .

وتابعت فاطمة في نفسها وهي متعجبة وحائرة من أمره:

-أرى في نظر اته شيئاً غريباً وكأنه مستعداً حقاً أن يقاتل العالم كله من أجلها. .،هل من المعقول أن يضحي بحياته من أجلها ؟! هل هنالك إنسان قد يفعل هذا. .؟! نعم قد يفعل فهذا الشخص أمامي ليس بإنسان عادي. .

وقال بس لفاطمة:

-شكرا..

ولتجيبه بدورها كادي في تعجب لأنها ظننت أنه تحدثه:

-علي ماذا..؟! أنت غريبٌ اليوم يا أخي. .ألم تنم البارحة أم ماذا؟!

وفجأة قد نزلت من علي ظهر أخيها وقالت وهي تمشي مبتعدة في عصيان:

-سوف أرحل وأعود إلي المنزل. .أنا لا أعلم لماذا قد أتيت معك ،أراك بعد العمل يا أخي ولا تتأخر حتى لا أشعر بالملل وأغادر المنزل مثل البارحة. .

وقال القائد في نفسه بكل فخر وفرح بعد رأيتهُ لها وهي تتحدث وتمشي بهذه الطريقة:

-لقد كبرت أميرتي الصغيرة. .أصبحت قوية ،سوف تكون ملكة عظيمة في أحد الأيام. .أنا متأكد. .

وقال بصوت وهو يضحك:

-إلي اللقاء. .لن أتأخر وإذا حدث حاولي أن لا تتعرضي للضرب. .

وتجاهلته ورحل ومشى في طريقة ومعه فاطمة إلي مكان العمل وهو المكان الذي يعمل فيه معظم الرجال والنساء وحتى أطفالهم لكسب رزقهم عن طريق كسر ونقل الحجارة لبناء سور المملكة.

وبعد ربع ساعة تقريباً وصل القائد إلي سياج من الخشب طويل ومشي بجانبه وكان خلفه ثلاث جبال ضخمة بارزة ذات عرضاً وطول كبيران وهي نفسها التي رأتها فاطمة سابقاً من بعيد.. ، جبل أبيض ،وجبل أسود. .وجبل أحمر يفصلهما. .،ومن جمال المشهد وقفت فاطمة قبل أن يصلوا للسياج وقالت متسمرة في مكانها:

-ما الذي أراه. .ما هذه الألوان يا قائد ؟!

وضحك القائد وهو يسير دون أن يلتفت لها حتى لا يعتقد أحد أنه مجنون ولتتابع هي من خلفه:

-هذا لا نراهُ إلا في الخيال واللوحات الفنية العميقة. .،كيف لهذه الأشياء أن تكون موجودة ،هذه تحفة فنية لم أرى مثلها من قبل ،وكأنها جزء من الجنة.

وتابع الاثنين سيرهم حتى وصلوا إلي مكان بو ابة يقف أمامها أثنين من الجنود ومعهم سيوف. .وكان أحد الجنود يدخن غليون أو البايب من الخشب وكان لونها بني لتقول فاطمة بعدما تعجبت:

-حتى هنا التدخين موجود. .

وكان هذا الجندي نحيف وطويل الجسد ويرتدي زي الجيش والذي هو شيء قريب من ألتنوره الاسكتلندية الأثرية ولكنها غير مخططة ولونها كان أزرق وكانت تصل إلي ما أسفل ركبتهم وأسلفها جورب أبيض طويل وحذا اسود ومن فوق قميص أحمر وخوذا سوداء من المعدن وكان الجندي الأخر مثله إلا أنه سيمن بعض الشيء. .،وكان الاثنين يضعون خوذهم ودروعهم علي الأرض وعندما شاهد القائد هذا ابتسم و اقترب منهما وقال:

-يا سيدان. .من العار علي جندي المملكة في وقت عمله أن لا يضع الخوذة ودروع الملكية. .أن هذا لتقليل من شأن تر اثنا ،ألا تو افقوني الرأي؟!

وصمت الجنود للحظات له قبل أن يضحكوا وبيقول صاحب البايب وهو يضع يده علي كتف رولو ساخراً:

-أنت يا فتى لا تكف عن إضحاكي أبداً. .،كل يوم تأتي في نفس هذا الوقت وتقول هذا الشيء المضحك. .

وقال الأخر السمين وهو يأخذ البايب من الجندي الأخر بعدما أخذ رشفة:

-نعم يا فتي نعم ،عليك أن تهدأ قليلاً بخصوص هذا الأمر. .لا أحد يهتم بأمر الزى أنه شيء قديم. .

و أكملوا ضحك وحتى أن القائد قد مر من بينهما أثناء سخريتهم وعليه ابتسامته المعتادة ولكنها هذه المرة كانت ابتسامه حزينة مليئة بخيبة الأمل وكأنه يقول في نفسه غاضباً:

-هذا لا يجوز. .هذا تقليل من شأن مملكتنا ،لو كان في يدي لقتلتهم بتهمة أهانتّ تراث عظمتنا. .سوف يأتي اليوم ،سوف يأتي قريباً لأرجع كل شيء كما كان..

وفور أن دخل بينهما رأي بعض عربات النقل الخشبية و اقترب منهم وهو يجر واحدة ليخرجها من وسطهم بقوة من حجمها الكبير وعجلاتها الضعيفة وقال وفاطمة بجانبه:

-لنبدأ العمل. .

***

الفصل الخامس

"قصة الرجل الضاحك: الجزء الثالث"

كان يبتسم وهو يجر العربة بقوة وصعوبة...فلعجلات كانت بالكاد تلف من الصدى ومع الخشب الضعيف المكسوروالذي يتضح أنه متماسك علي شعرة.

وبرغم من كل هذا مازالت الابتسامة عليه وكأنه لا يقدر أن يفعل شيء أخر،يلقي السلام علي كل من يمر بجانبه. .هنالك من يجيبه ليرد التحية وهنالك من يتجاهله وكأنه غير موجود. .،علي الجميع علامات التعب وضيق وهنالك من يجر العربة وفيها الأحجاروهنالك من يجر العربة وفيها جثث الناس وحتى فاطمة اقتربت من أحدى هذه العربات وهي تجروقالت واضعةً يدها علي فمها وكأنها لا تصدق ما تراه أعيناه من بشاعة المنظر:

-نساء وعجائز،وحتى أطفال جميعهم قد ماتوا. .

وعندما دققت فاطمة النظر في عربة الجثث ورأت أن هنالك جثث فوق جثث ،أقواماً قد تصل لخمس أو ست جثث فوق بعضها.

.وتابعت في حزن وكأنها تحدث القائد الذي يسمعها دون أن يُبدي أي أظهار بذلك :

-هذا لا يصدق. .،هذه جريمة. .أري جثث تنقصها أجزاء وأجزاء أخرى محروقة وكأنها قد تعرضت للشاوي أو ما شابه ،وجثث أخرى مكسورة العظام وكأن أحجاراً قد سقطتّ عليها. .هذا صعب ،حقاً صعب. .

وعندما انتهت من الحديث نظرت إلي بس والذي كان يقف بجانب الرجل الذي يجر هذه العربة وقال دون أن يبتسم في مشهد لا يتكرر كثيراً:

-كم جثة وقعت اليوم ؟!

وقال الرجل أمامه والذي يظهر أنه رجل في أخر الثلاثينيات وأصلع الوجه والرأس ويرتدي ملابس كلها ملطخة بالدماء والأتربة:

-عشرون إلي الآن ويتوقع أن أنزل وأصعد وأجد المزيد. .

ورد بس عليه في تساؤل مرة أخرى:

-هل تمت الصلاة عليهم أم لا ؟!

وضحك الرجل أمامه وسخر من بس وقال:

-وهل الصلاة سوف تعيدهم من الموت للعمل يا أخ أم ماذا ؟! هذا يكفي دعني أكمل عملي وأوصلهم للمحرقة قبل أن تمتلئ وتتعفن الجثث كلها. .

وتحرك القائد رولو إلي أمام العربة في مكان جرها ووقف وأغمض عينه الاثنين وقال:

-نعيد هذه الأرواح إلي النار كما أتت منها ونطلب أن ترجع إيراداتهم في وقتاً أخر ليعشوا في فرح ويحصلون علي نهاية جميلة علي عكس حياتهم هذه..

-أيتها النار العظيمة شكراً علي السماح لي بتحدث والصلاة علي أرواحهم..

وكان علي وشك أن يتابع قبل أن يدفعه الرجل وهو يصرخ فيه:

-هذا يكفي..،فقط أحرص أن لا تركب في مره هذه العربة ،لأني لم أتلوا الصلوات من قبل..

و ابتسم رولو وهو علي الأرض من دفعة الرجل وقال له وهو يقوم مزيلاً الأتربة من علي حلته البسيطة:

-لا تقلق..،لن أموت الآن..علي أن أفعل بعض الأشياء أولاً..

وتابع هذا الرجل جر عربته وتابع القائد في الجانب الأخر هو أيضاً جر عربته..

***

وصل بس إلي مكاناً ما في الطابق الثالث من الجبل الأبيض والذي يظهر أنه جبل ذات طو ابق كثيرة يظهر منها تقريباً عشر أو ربما خمسة

عشر أيضاً بسبب ضوء الشمس القوي الذي يحجب الرؤية. .وكان في هذا الطابق عشرات الناس الذين يعملون بجانبه.

أوقف العربة وأخرج منها شيء مثل مطرقة قوية علي جانبان وهي ضخمة يزن حجمها عشرون كيلوا غرام تقريباً ،وقال يلقي التحية علي مِن من حوله في ضحك:

-صباح الخير يا رجال. .،يا ترى من فيكم سوف يرحل أولاً. .،أم ما رأيك يا غرو؟!

ورد عليه غرو والذي يقف بجانبه وهو شاب في مثل عمره أو ربما أقل وهو قصير ومليء بالعضلات وذا شعراً مقصوص وناعم ويرتدي ملابس كلها عرق وتراب أبيض جراء تكسير الحجارة:

-أنه أنت بالطبع. .،أخر من يصل فينا وأخر من يرحل. .

وقال عجوز قصير وسمين قليلاً يقف علي الجانب الأخر من رولو وهو رجل في الخمسين من عمره تقريباً ولديه شعر طويل أبيض ولحية لا تختلف عن شعره كثيراً وكان عريض الجسد ولديه عضلات ولكن ضعيفة قليلة وكان ما يميزه أكثر هو شاربهُ الذي علي شكل قبضة.

.،وقال العجوز بلا أسنان والذي يتضح أن يده اليمنى مقطوعة ويعمل باليد الأخرى بصعوبة:

-بس تباً لك يا فتى ،لقد مسست شرفي أمس وأعطيتني نصف الحجارة التي جمعتها. .هذا لا يغتفر،لقد رميت كبريائي في الأرض ،سوف أعطيك نصف الحجارة التي سوف أجمعها اليوم..هل هذا مفهوم؟!

وقال بس لهُ وهو يضحك:

-حسناً. .،سوف أنتظر،أعمل بجد يا عجوز..

وقال العجوزوهو يضرب الصخر بغضب وصراخ:

-أنت يا فتى تريد مني أن أعمل بدل أن تعفوا عني ،تباً لشباب هذه الأيام أنهم مجانين حقاً. .هذا لا يغتفر أبداً ،سوف أضربك بعد أن أنتهي لأعلمك بقبضة يدي كيف يجب أن يكون الاحترام. .

ونظر بس إلي غرو وقال ساخراً:

-هذا العجوز يصيبني بالجنون. .،لا يعجبه شيء أبداً. .

وقال غرو وهو يبتسم ويضرب الأرض:

-أنهم العجائز تعرفهم جيداً لا يعجبهم شيء. .

وصمت غرو قبل أن يتابع وهو يضرب الصخر بقوة وهو يسأله دون أن يلتفت إليه وكأنه لا يريد أن يسمع أحد كلامه:

-هل هنالك شيء جديد يا قائد. .؟!

وفاجأت من لا تُرى وهي فاطمة من سؤاله وهي تنظر إلي القائد الذي لم يلتفت لها وهي تحدثه:

-إذا هنالك من يعرف هويتك يا رولو ؟! هنالك أشياء كثيرة تخفيه. .

و ابتسم القائد له وكأنه يقصد الابتسام إلي فاطمة وقال يضرب الأرض دون توقف:

-أيها الجندي الطيب. .،يا قليل الخبرة أخبرتك أن تنظر من حولك و أنت تنادني بهذا اللقب. .ألا ترى الحراس في كل مكان من حولنا ،إذا سمعك أحد سوف ينتهي أمر مملكتنا. .

وصمت وهو يلتفت إليه وأردف:

-أنت من القليلين يا غرو الذين أتبعوني يوم الهروب الكبير من القصر في ليلة اختفاء القمر قبل عامين. .،و أنا أحترم و أقدر هذا ولكن عليك أن تكون أكثر حذراً. .،فأنا و أنت والباقية من تعتمد عليهم الأميرة والمملكة كلها أيضاً. .،هل فهمت يا جندي ؟!

ولم يلتفت إليه الجندي وضرب الصخر بقوة وكأنه قد فهم كلام قائدة قبل أن يترك قائدهُ بدوره المطرقة بجانبه وهو يبتعد قليلاً للوراء وسط اندهاش الجندي والعجوز أيضاً وحتى فاطمة التي كانت تسأله عن ما يفعل ،ولكنه ظل صامتاً وهو يبتعد عنهم في طريق الطابق الذي يليهم وكأنه ذاهب ليقابل أحدٌ ما. .،وكان يمشي وفاطمة تسأله في لهفة وإلحاح وكأنها تحثه أن لا يثير أي شبه خوفاً عليه:

-إلي أين أنت ذاهب يا بس ؟! أنهم في الخلف يشاهدونك في تعجب ؟! هل أنت راجع لكادي أم ماذا ؟! إذا كنت ستفعل فهذا الطريق الخطأ أنت تصعد الآن. .هل تفهم ؟!

وكان القائد يبتسم من كلام فاطمة ،قبل أن يتوقف أمام أحد انشقاقات الجبل الواسعة. .،شيء مثل كهف ولكنه صغيروضيق ،وفجأة زحف رولو لداخله بعدما تأكد أن لا أحد يراه.. وكان مظلم وفي نهايته ضوء خفيف يزداد كلما زحف لداخل أكثر،وبعد دقائق أتضح أن هذا الكهف يزداد عرضاً لدرجة أن القائد أصبح يمشي علي رجليه وخلفه فاطمة التي كانت تسأله عن ما يحدث وهي تقول أن لا أحد يراهم ولكنه لم يجب عليها مما جعلها غاضبة وبعد مشياً طويل رأت فاطمة فتاة جملية حولها ضوء والذي هو نار الشموع من حولها.

وكانت تقف هذه الفتاة في عكس اتجاه سير القائد قبل أن يقترب منها وهو يحاول أن لا يصدر صوت حتى يفاجئها قائلاً منادياً باسمها:

-منالين..

وفور أن سمعت الفتاة التي تبدو أنهُ في مثل عمره أو أصغر قليلاً صوته التفتت علي الفوروركضت ناحيته ولتحضنه بشدة وقوة وهو يبتسم لها ،لتقول في حزن:

-لقد تأخرت يا رولو. .

وقال مبتسماً:

-أعرف. .أنا أسف

وأجابته في ضحك:

-لا حقاً يجب أن تنهي هذه العادة السيئة. .

وضحك بدوره وأجابها:

-ليست عادة يا عزيزتي. .،فأنا لم أتأخر في اختيارك فتاةّ لي. .،أيتها القصيرة منالين..

و ابتسمت فاطمة هنا ولتغادرهما وهي تقول:

-لقد فهمتُ الآن. .كلنا لدينا احتياجات قبل أي شيء. .،سوف أنتظرك مع أصدقائك. .

ورحلت فاطمة أثناء حديثهم. .

***

وكانت منالين في عمر الثالثة والعشرون وكانت فتاة قصير ونحيلة الجسد إلي حداً ما. .،شعرها الأبيض الناعم والقصير ولون بشرتها القريب من بشرة المصريين القدماء.. وكان لديها الملامح الأسيوية البارزة علي أعينها. .،وكانت ترتدي فستان قطعتين من فوق وهو يظهر بطنها كلها ومن أسفل وهو يصل إلي ركبتها وكانت في حضن زوجها وهي ترد عليه قارصةً شفتيها:

-لا تُخدع يا عزيزي رولو فأنا من اخترتك لي وليس العكس. .

وكانت علي وشك أن تبتعد عنه قبل أن يشدها بقوة وهو يلصق جسدها بجسدهُ:

-لا هذا ليس بصحيح. .أنا أتذكر تفاصيل هذا اليوم ،كنت أنا من بدأت أتبعك حتى لاحظتِ وظهر الخجل علي وجهك. .

وضحك وهي تضع يدها علي وجه لتتأمل أعينة قائلة وهي تقترب بشفتيها:

-أحمق يا قائدي. .لقد لاحظتك وجعلتك تتبعني وحتى أن الملكة قد رأتك وأخبرتني وضحكنا علي سذاجتك..

وتغيرت ملامح القائد بعدما شعر أنه خدع وهو يحملها لتضع منالين أرجلها حول خسره وهو يقول في حيرة:

-ولماذا لم تخبريني من قبل ؟! و أيضاً لماذا أحمر وجهك يومها !؟

وضحكت وهي وتحيط بيدها علي وجههُ قبل أن تجيب علي سؤاله:

-ماذا تريد مني أن أفعل حينها. .رجل يتبعني أينما أذهب وينظر إلي مؤخرتي وهو يعتقد أني لا أراهُ.. ،بالطبع سوف يحمر وجهي مهما حاولت أن لا أظهر. .

وضحك هو عليها قبل أن يصمتوا للحظات..

***

وكانوا عراء الجسد وهم يستلقون علي قطعة من القماش ،كان رولو في حضن زوجته التي تحيط به بشدة وقوة ،وعليها ملامح القلق وضيق علي حالة. .لتقول وهي تنظر إليه وهو في حضنها بنبرة حزينة:

-رولو..،لقد مر قرابة العامين يا عزيزي. .يوم اختفاء القمر يقترب. .

وأجابها بتعب وهو مغمض العين:

-وماذا إذاً. .؟!

وتغيرت ملامحها لعدم الفهم وهي تقول في عصبية:
-"وماذا إذاً..؟!" هل تمزح يا رولو ؟! القصر كله يعتقد أنك متّ برفقة الملك والأميرة. . أو لا بل المملكة كلها تعتقد هذا. .ما خطبك يا رولو. .متى سوف تتحرك. .؟!
وقال وهو بنفس وضعيته غير مبالياً:
-قريباً يا عزيزتي. .قريباً لا تقلقي..
وقامت وتركته علي الأرض حائراً وهي ترتدي ملابسها قائلة في غضب:
-أنت ربما قد ضعفت يا قائد ؟! أنا لا أفهمك حقاً. .جميع حلفائنا ينتظرون منك كلمة واحدة ليبدأ الانقلاب ،و أنت هنا تؤدي دور جليس الأطفال للأميرة الصغيرة. .؟!
وصمتّ بعدما نظرت في وجههُ ورأته يبتسم وكأنه مجنون لا يجيد غير الابتسام لتتابع وهي ترحل من النفق الأخر:
-من الأفضل أن تمتلك خطة يا رولو ،المملكة في يد شخصاً مجنون وذكي كما تعرف ونحن جميعاً لا نقدر علي فهم ما يدور في باله..أنت تعلم أكثر منا وتفهم ما أقصده..
ولم يجيبها و أكتفي أن يودعها بقبله وهو يقول واضعاً يدها علي وجهها قبل أن تدفن هي وجهها في يده:
-لا تقلقي. .،لدي خطة بالفعل. .

ورحلت وليقول بصوت كله حزم وقوة وجديه دون ابتسام. .:
-خطتي أن لا أدع أحدٌ يموت. .

***

الفصل السادس

"قصة الرجل الضاحك: الجزء الرابع والأخير"

كانت ساعة الراحة للعاملين في تكسير الصخر أو الحجارة وهي الساعة التي اختفي قبلها رولو بقليل حتى لا يشك في أمره أحد غير فاطمة التي لم تكن تعلم بخصوص هذا الأمر.

عندما رجعت إلي العجوز وفرو.، وتركت رولو مع زوجته ليقضي معها بعض الوقت ممتع وجدت أنهم يجلسون ويحتسون الشوربة ذات اللون الأصفر وعليها قطع الخبز المفتتة وقالت في نفسها وهي تقترب للجلوس بجوارهم في سخرية:

-و أنا الذي كنتُ أعتقد أنه تائهٌ أو مشابه. .ما هذه الساذجة مني ،أنا أنسى أنه قائد الحرس في القصر سابقاً بسبب عمره الصغير هذا وشكله ومع تصرفاته الغريبة أيضاً. .

وصمتت لتنتظره أن يظهر مجدداً بعدما ينتهي من واجبه الزوجي ،وفي أثناء هذا وضع العجوز طبق الشوربة بجواره بعدما وضعه علي بطنه ليسنده بسبب أمريده.. وكان ما يزال ممتلئاً وقال لفرودون أن ينظر له بحسرة:

-يا ولد. .

ونظر له الأخير بعدما كان منغمساً في طعامه وسأله عن ماذا يريد وليتابع العجوز بحزن وضيق:

-ما الذي تتوقعه في أيامنا القادمة يا فتى ؟ يوم اختفاء القمر قد اقترب. .

وضحك فرووقال وهو ينغمس في طعامه مجدداً ساخراً منه:

-شيئاً مثل هذا الأمر لا يجب أن يقلق عجوزاً مثلك حيالهُ. .،لا تقلق لن تعيش لمثل هذه الأيام..،سوف تكون رماداً وقتها. .

وضحك العجوز من رد فرووقال وهو يمسك بطبق الطعام مجدداً نظراً إليه بتمعن شديد وكأنه قد تذكر شيئاً ما ، قائلاً في ضيق برغم من ابتسامتهُ:

-أنت وقح يا فتى ولكنك محق بخصوص هذا الأمر. .فأنا والمحرقة سوف نلتقي قريباً. .

وقالت فاطمة بغضب وعصبية علي فرووهي بينهم تجلس وتستمع للحوار:

-أن هذا الفتى لا يراعي مشاعر الجد المسكين والضعيف. .،ما خطبه ولماذا يحرقون الجثث بدلاً من أن يدفنوها ،أن العادات هنا غريبة ولا أفهمها. .وقصة نار هذه غريبة بنسبة لنا..

وقبل أن تكمل الفتاة حديثها ،قاطعها العجوز وهو يهضم طعامه:

-تعرف يا فرو. .لقد عشتُ كثيراً ،عمري تقريباً أكثر من مائة ،شهدتُ أشيئاً لا تتخيلها أبداً. .

وقال فرو بصوت منخفض ساخراً ملتفتاً إلي الجانب الأخر:

-ها سوف يبدأ مجدداً. .

وتابع العجوز وهو ينظر إلي السماء مستند الظهر:

-شاهدتُ انتصار تحالف جزر ما وراء النهر في الحرب قبل خمسين عاما وشهدتُ أول ملكاً لنا قبل أن يموت بسبب المرض وشاهدتُ التجارة بأم عيناي و أنا في سفينة تتجول بين الجزر. .وقبلها كنتُ متزوجاً من سبع نساء ولدي أكثر من خمسة عشر فتاة لا أتذكر أسم فتاة واحدة منهم...فهم جميعهم قد ماتوا إلا واحدة وهي من أعيش لأجلها الآن. .فأمها الفاجرة قد تركتني وهربت لحضن أحد الرجال الصغار ولم تأخذ الفتاة صغيرة معها وتركتني لأرعاها. . والآن تر اني أعمل بسببها ،تباً لهذا. . أريد أن أعيش أخر أيامي في حضن أمراء سمينة ذات أثداء ضخمة و أنا أخبرها عن مقدار خوفي من الموت. .،كان هذا ما سوف يحدث لولا وجودها. .

وصمت للحظات وهو يرجع ليمسك الطبق بجواره وينظر إليه مردفاً بضيق وكأنه يريد أن يبكي لولا عامل السن الذي يمنع الدموع من الظهور والسير في أنهار علي خده:

-هذه الفتاة مريضة مثلها مثل أخوتها جميعهم. .لن يتبقي الكثيرلها وكل ما أرجوه أن تموت من بعدي. .فأنا لا أتحمل موتُ جزءاً مني أخر. .هذا صعب ،هذا لا يحتمل. .

وقالت فاطمة بعدما انتهي العجوزمن كلامه:

-أي مرض هذا يا جدي الذي يقتل عشرمن بناتك. .،ما الذي تقوله..؟! ،أنا طبيبة ولا أفهم ما تتحدث عنه. .

وقال فرووهو يقوم من جلسته ذاهباً في طريق مطرقته وهو ينظرإليه و اقفاً:

-يا عجوز. .أترك مثل هذه الأمورللنار. .جميعنا من النارخلقنا وجميعنا في النهاية نرجع لها. .والآن هيا إذا كنت تريد أن ترجع لبس ماله أم سوف تتكاسل وتعتمد عليه. .

وصرخ فيه العجوزبغضب:

-هذا لا يغتفر. .لقد أهنت كرامتي يا فتى ،سوف ترى العجوزصاحب العضلات الآن في كامل توهجهُ. .

وضحك فرووضحكت فاطمة منه وهو يشد علي عضلات جسده لتظهربرغم من سمنته. .،وعلي الجانب الأخركان القائد قد ظهروهو يحيهم بيده من بعيد مقترباً منه ليقول فرو ضاحكاً عليه:

-بس. .،ألا ترحم أبداً. .

وقال العجوز:

-تباً لهذا الشقي. .،يجعلني أريد أن أتزوج الآن مجدداً..

وقال فرووهو يسخر من العجوز:

-أنه قائدك يا جندي لا تنسي هذا..

وقال العجوز بجديه وهو يقف في الخلف:

-فرو لا تنسي أني الأقدم يا فتى. .

وقال فرو:

-ربما تكون الأقدم يا بيون ولكنك لست الأفضل. .

وقال العجوز الذي يتضح أنه أسمه بيون:

-لا تجعلني أضحك. .أنت تذكرني به. .

اهتزت الأرض من أسفلهم بقوة للحظات قليلة ومن بعيد صرخ القائد رولو وهو ينظر ناحيتهم وكأنه قد لاحظ شيء:

-فرو أحترس. .

ونظر فرو فوقه ووجد أن صخرة ضخمة علي وشك أن تفتك بجسده كله.

وقبل أن يحاول الجري قد وجد جسده لا يتحرك من الخوف والصدمة من ما رآهُ فوقه ،وفي لحظة أندفع العجوز في اتجاه ودفعه بكل قوة قائلاً في ابتسامه:

-شقي لعين. .

وبدلاً من أن يسقط الحجر علي فرو سقط علي الرجل العجوز و أفتك بمعظم أجزاء جسده. .

***

كانت الصخرة قد سقطتّ علي الجزء السفلي للعجوز بالكامل وقد حطمته في مشهداً مرعب لا يوصف بالكلمات وحتى أن العجوز لم يقدر بأن يلتفت ليري ما حدث له وهو فيه الوعي مازال ،كان القائد قد وصل بعدها بلحظات وأما فرو فقد ظل و اقفاً خلف قائده وعليه ملامح الحزن وهو يبكي. .،وقال العجوز والقائد يمسك بيده بقوة:

-هل تسمح لي يا بس للمرة الأخيرة. .

و ابتسم له بس وفهم ما يقصده وهز رأسه مو افقاً وليتابع العجوز والدماء تخرج من فمه بغزارة وسط كل هذا ألألم:

-في يوم اختفاء القمر وهروبنا من القصر.. ، أمرتنا أن ننسي هويتنا حفاظاً علي حياة الأميرة حتى نعود يوماً وقد فعل الجميع هذا. .وبرغم من اجتماعنا أكثر من مرة ولكن كنتُ أنا الوحيد الذي نفذ أمرك الأخير هذا ولم أناديك بلقبك وأسمك الحقيقي. .أسمح لي ،أسمح لي يا بس أن أذكر قوتك ومكانتك للمرة الأخيرة. .ق

وترك القائد يد العجوز وقام من مكانه والتفت للجانب الأخر وقال وهو يبكي مبتسماً:

-أفعل ما تشاء. .

وبكي العجوزوهو علي وشك الموت قائلاً والدماء تسيل من فمه وهو فرح:

-لقد سعدتُ بالعمل معك يا قائد رولو. .قائد الفرقة العامة وأخ الأمير فلاما..

ومرت بضع ثو اني قبل أن يموت أحد جنود الفرقة العامة في القصر وهو أقدم جنود مملكة ما وراء النهر المدعو ب"بيون".

كان فرو يعاتب نفسه وهو يحرك الصخرة مع قائدة قائلاً والدموع علي وجههُ:

-أنا السبب. .،أنا من جعلته يضحي بحياته. .أنا من أستحق الموت يا قائد. .أنا من قتلتهُ. .أنا الملام. .أخبرني يا قائد ما عليّ فعله. .

ولم يجب عليه القائد وألتزم الصمت ،أما فاطمة فلم تفعل شيء غير أنها صرخت فورسقوط الصخرة علي العجوزفهي لم تلاحظها مثلها مثل فرووبعد أن صرخت مشت بعيده وهي تنظر من حولها الجثث العديدة التي سقطتّ أيضاً وقالت في حيرة وسرحان من ما تراه من أشياء لا تصدق:

-لماذا يعملون وحياتهم معرضة للخطر بهذه الطريقة. .،ما خطب هذا المكان. .ألم أستيقظ بعد. .لماذا هنالك من يصعد مرة أخرى بالعربات الفارغة. .ألم يكتفوا..

وكانت تبكي عندما تابعت في حزن وضيق وهي تنظر إلي السماء التي توشك أن تظلم. .:

-أريد أن أرجع إلي عائلتي. .أريد زوجي وأن أنام في حضنه ولو لثانية ،أريد أن أري أبنائي الصغار وألعب معهم. .لقد اشتقت لهم جميعاً ،أريد أن أرجع وأجمع الكتب حتى لا أطرد من العمل. .أريد أن أرجع وأكمل جلسات العلاج النفسي. .أريد أن أرجع لحياتي الطبيعية. .أريد أن أرجع. .

***

كان القائد والجندي يجرون العربة والتي فيها جثة العجوز وجثث أخرى أيضاً. .،جثث لا يختلف حالها كثيراً عن جثة العجوز،فعندما اهتزت الأرض سقطتّ جميع الصخور التي تعرضت للكسر سابقاً ،قال القائد للفرو ببرود ودون النظر إليه عندما شعر أن جنديه في حالة ربما هي أسوء مما تعرض لها العجوز فهو تألم ومات أما الجندي يتألم فقط ،فقال لهُ القائد وليس بس هذه المرة بل رولو..:

-يا جندي...،لقد ضحي بيون بنفسه عديد المرات وهو يعلم أخي المبارزة بالسيف أثناء قيادة للفرقة العامة وضحي بنفسه مرة أخري بعد وقتاً طويل عندما قبل أن يتنحى عن منصبة بأمر الملك ويختار بديلاً له والذي كان أنا بسبب ما فعله أبي. .وهو مصدر كل شر قد وجهنهُ. .وقد

ضحي بنفسه عندما قرر خيانة الملك وعارض أن يسلمني لأصبع الحلزون وفعل أسوء عندما هرب معنا جميعاً يا فرو..

وصمت وتابع وهو ينظر إليه بجمود وقوة وكأن هذا الرجل لديه شخصيتاً هما بس و رولو والذي كان يتحدث منذ البداية هو بس فقط أنما الآن هو القائد العام للقصر:

-في بالك يا فتي هو ضحي بحياته من أجلك فقط ولكن في الحقيقة هو ضحي بكل شيء وفي كل وقت..

وتابع في غضب وعصبية وهو يقترب بوجههُ لهُ قائلاً:

-لهذا كف عن النحيب كالفتيات وجر العربة اللعينة معي وصلي يا جندي..

وعلي الفور مسح الجندي دموعه وكأنه قد أفاق بعد كلام قائدة الشديد والقوي ،وتلا الصلوات وسط ذهول فاطمة التي قالت وهي تمشي بجوارهم وقالت في داخل نفسها المتعجبة والحائرة من أمر صديقها هذا..:

-عندما يمر الوقت بي و أنا في هذا العالم أتأكد أكثر و أكثر أن رولو هذا يحمل العديد من الأسرار. .أسرار تجعلني غير متأكدة بشأنهُ.. ،هل هو شخصاً صالح أم هو مجرد شرير. .هل هم فرقة لدى القصر أم هم عصابة وخطفوا الأميرة الصغيرة. .هل خلف هذه الضحكات صراخ وحش ،أم أني أبالغ في التفكير فقط..

وصمتت وهي تضرب بيدها رأسها بقوة من كثرة التفكير الذي يشغل بالها وحتى أن رولو قد نظر إليها متعجباً قبل أن يلاحظ فرو ويسأله عن ماذا ينظر ليجيبه الأخر بأن لا يشغل باله ولتتابع فاطمة:

-فاطمة. .،لا تشغلي بالك رولو هو بس لا فارق بينهما. .أنه شاب قوي أنا متأكدة أنه بطل هذه المملكة إذا كانت موجودة. .فكل ما أره هو مجموعة مفككة من الناس لا يستحقوا أن يدعوا نفسهم بمملكة..لا بل هذا أشبه بجحيم..

وصمتت وتابعت بصوت مسموع وهي لا تعي:

-أرجو هذا. .

***

وصل القائد وجنديه إلي المحرقة أسفل الجبال والتي تتضح أنها حفرة كبيرة وعميقة وفي داخلها نار قوية ودخان يخرج منها دون توقف وحولها أقوام من الجثث تُلقي وكان هنالك رجال يغطون نفسهم بملابس من القماش البسيط وبجانب بعض الرماد الخارج من حفرة النار هذه وقالت فاطمة وهي تضع يدها علي فاها بخوف من منظر النار ورمي الجثث:

-ما أمر هذا القوم. .

وعندما كانت تنظروجدت أن أحدهم رفع رأسه لها لثوانٍ وكأنه يراها قبل أن يعود بوجهه إلي النظر للمحرقة مرة أخرى ،مما جعل فاطمة تقول في خوف وقلق:

-هل كان ينظر إليّ أم أني كنت أتخيل. .هل يقدر أن ير اني أحد غير بس ؟! وفي هذه الأثناء رمي فرو والقائد جميع الجثث التي كانت في العربة وتوجهُ ليقبلوا أيدي الناس الغريبة هذه وبعدها افترق الاثنين..

***

وفي أثناء رجوع القائد وفاطمة للبيت. .قالت له السيدة كما يندبها هو في تعجب دون النظر إليه:

-ألم يحن الوقت بعد لتخبرني بما حدث يا قائد. .عن يوم اختفاء القمر هذا

و ابتسم بس لها وقال بعدما نظر من حوله وهم يشمون في زقاق ضيق وصغير و أيده شمعة:

-قد حان. .فأنا أنوي التحرك. .

وتابع وكأنه يحدث نفسه:

-حسناً يا سيدة فاطمة من حقكِ أن تعرفي ما حدث في يوم اختفاء القمر. .اليوم الذي بدأ فيه كل شيء وفيه مرة أخرى أنوي أن أنهي كل شيء. .

***

الفصل السابع

"قصة يوم اختفاء القمر: الجزء الأول"

داخل القصر الملكي..

كان رجل ضخمٌ البنية وصاحب طولٌ فارع يجعلك تقف أمامه وترفع وجهك متعجباً من منظره.. ،شعره الكبير الغير مسرح والخشن الذي يختبئ أسفل تاج من الذهب المرصع بالجواهر الغير مقدرة بثمن.

.يرتدي زي الملوك الفخم والذي يبرز منه عباءةٌ حمراء.، يجلس علي كرسي برفقة طاولة من الخشب الفاخر،وأمامه خنزير كامل مشوي وبجانبه كأس من النبيذ كبير.

يأكل بشراه واضحة دون توقف بيده الاثنين وكأنه لم يأكل من قبل هذا اللحم. .،وحتى أن هنالك أثنين أخريين علي الجانب الأيمن ومثلهم علي الجانب الأخر من الطاولة العريضة في هذه الغرفة من القصر الملكي.. نظروا له وفي أيدهم كأس نفس النبيذ الذي أمامهم ،وبعد وقت شعر هذا الرجل والذي هو عظيم مملكة ما وراء النهر بالتخمة والشبع وليرفع يده ليأتي رجل أسود يرتدي جلبة بيضاء وأصلع الرأس وأمراء بيضاء فاتنة ترتدي مثله ولكنها ذات شعر أصفر ووجهاً بشوش ،وفور

أن رفع يده أتوا الاثنين ورفعوا طبق الطعام الذي كان أمامه..،وعندما ابتعدوا التف هذا الملك ونظر إلي مؤخرة هذه الجارية وهو يشتهيه بقوة وهي تمشي مبتعدة عن نظره.. ، قبل أن يقول أحد الرجال علي الطاولة والذي هو بجواره علي اليمين:

-يا ملكي العظيم أفونسو. .هل نبدأ الآن ؟!

ورجع الملك ونظر إليه ببرود وعصبية وكأنهُ قد أوقفه عن شيئاً كان يفعله بتركيز شديد وقال لهُ بلهجة قوية وصوت عميق وغليظ:

-ثيو يا أصبع الحلزون ألا تر اني منشغل الآن ،لنؤجل الاجتماع للغد..

وقالها وكاد أن يقوم ويتحرك من مكانه ليمسك المدعو بأصبع الحلزون بيده وهي علي طاولة وليقول ببرود وبصوت خفيف وهو يلمح بطرف أعينه علي الجالسين من خلفه وبجواره والذين رفضوا الحديث والنظر واكتفوا برمي أعينهم علي المشروب في أيديهم. .وهم يحتسوه ،نظر له بقوة وقال في همس:

-يا أخي. .لقد تأخر هذا الاجتماع كثيراً ،أجلس واستمع إلينا. .

ونظر الملك لهُ للحظات وهو يقف قبل أن يجلس مكانه وفي حالة من الانزعاج وكأنه لا يريد أن يفعل هذا وليتابع ثيو كلامه والذي يتضح أنه رجل أصغر من الملك بقليل وهو يتميز بطوله الفارع ولكن ليس بضخامة كما التي علي الملك كما ذكر سابقاً ،وكان أصبع الحلزون كما دعاه الملك قبل لحظات صاحب شعر قصير و أبيض ،ولحية لا تختلف

لوناً وشكلاً عن ما سابقها..وكان يرتدي زياً أسوداً بالكامل علي عكس الملك وكل من حوله أيضاً. .،نظر إلي كل من حوله وقال وهو يبتسم:
-من الجيد أن يجلس بيننا الملك الآن برغم من وقته المزدحم ولكن ولأن هذا الأمر طارئ قرر أن يأتي فور أن طلبتُ منه. .
ونظر إلي الجالس بجواره وكأنه يطلب منه أن يتحدث ،وهو رجل يرتدي العديد من الحُلي ذات الألوان المختلفة حول رقبته وفي أنفه وأذنه أيضاً.. وعلي رأسه الصلعاء رسمه قريبة من شمس وحولها سمكتان وعلي رقبته والتي بالكاد تظهر من كثرة الحُلي رسمه أيضاً تظهر بوضوح أنها سبع نقاط علي شكل جزر. .وقال هذا الرجل القصير والسمين والذي يرتدي جلبه رمادية بالكامل بصوت قريب من صوت النساء علي عكس شكله الذي يتضح أنه رجل بالكامل:
-من النادر أن يجلس بيننا الملك في هذه الأيام من كثرة مشاغلهُ ،عاونته نارنا العظيمة. .، ولكن بما أن فخامته موجود فأنا أحب أن أنقل حال شعب مملكتنا. .
وقال الملك مقاطعاً إياه وهو يشرب الخمر الأحمر بعصبية :
-حال شعب مملكتنا ؟! ما الأمر. .هل زدتم الضرائب دون الرجوع إلي أم ماذا ؟! أخبرتكم يا حمقى أن لا يحدث مثل هذا الأمر دون الرجوع إلي. .أخبرني يا آرسنوي ما الخطب دون أن تكذب علي. .وإلا شنقتك يا..

وقال ثيو مقاطعاً الملك بدوره هو كذلك:

-لا داعي لهذا التهديد يا جلالتك ،أن آرسنوي صديقٌ قديم لنا ورجل يعتمد عليه في التجارة وهو يريد فقط أن ينقل ما يراه في سوق كتاجر وممول كبير لمملكتنا. .

وصمت وليتابع هذا التاجر بعدما صمت الملك وعليه نفس علامات الانزعاج من ثيو وكأنه يشعر أنه يخنقه ولا يعطيه فرصه أن يتحدث:

-مولاي العظيم أن حال شعبنا إلي حداً ما ممتازولا نحتاج إلي رفع الضر ائب أو أي شيء مثل هذا ،ولكن هنالك شيء يقلقهم. .

وصمت التاجر للحظات ليفور الملك فيه بعدما شعر بالقلق حول شعبه وقال بغضب:

-أنت. .أخبرني بما لديك ،لا تحاول أن تراوغني كما تفعل وإلا قتلتك. .

وكاد التاجر أن يتحدث قبل أن يتحدث ثيو مقاطعاً إياه وهو ينظر إلي الملك وبكل برود:

-فخامتك.. ،أن الشعب يعيش أفضل حياة بوجودك والكل فرح ولكن هنالك ما يُخيفهم وهو تحالف دول النهر مرة أخرى. .

وتعجب الملك من كلام ثيو ورجع بظهره للخلف مستنداً علي كرسيه وفي يده كأس الخمر، وقال في حيرة وهو يفكر مع نفسه بصوت مسموع:

-أين الخطب في هذا ؟! أنه تحالف بغرض التجارة فقط وقد بعثوا رسولاً قبل وقتاً طويل حتى يعرفوا شئننا بالمو افقة أو رفض وقد و افقنا طالما أن سفنُنا سوف تُعفى من الضر ائب. .،ما خطب شعبنا مع هذا الأمر إذاً ؟!

وتابع أصبع الحلزون كلامه وهو بارد كالثلج تماماً:

-أن شعب لا يعي هذه التفاصيل جلالتك..

وقاطعهُ الملك بعد سماعه هذه الجملة وقال وهو يقوم من مكانه ليقوم الجميع علي الفور احتراما لهُ:

-ما الذي تعنيه يا أصبع الحلزون. .هل أبناء شعبي يفتقرون للمعرفة لهذا الحد ؟! أنت تهين كرامتي. .قُل الحقيقة

وأجابه ثيو وهو و اقف في مكانه:

-في الحقيقة يا جلالتك لقد أخبرنا الشعب بهذا الأمر ولكنهم يرفضون التصديق وهم بكل صدق مرعوبين ولا يشعرون بالأمان. .

وكان الملك قد بدأ يلتف من حولهم وهم و اقفين إلي أن وصل إلي الرجل العجوز القصير وهو القائد بيون ووقتها هو القائد العام للفرق وقال الملك بعدما وقف بجانبه:

-يا جد أريدك أن تذهب الآن وتجهز بعضاً من جنودك ليتجولوا في أنحاء المملكة كلها ويناشدوا باسمي للشعب المسكين بأن لا يقلقوا بشأن شيء. .

وصمت وتابع وكأن فكرة قد جاءتهُ:

-ونعم. .أجعلهم كلهم يرتدون زي الفرقة العامة وأن يمسكوا سيُفهم ،استعراضاً لقوتهم. .هل فهمت يا بيون أم أن سنك جعلك ضعيفاً. .ولا تقدر علي السمع..

وضحك الملك وسط نظرات الباقين الذين ضحكوا معه حتى لا يشعر بالخجل. .،وقال بيون وهو ينحني لهُ مغادراً:

-عُلم جلالتك. .

وغادر بيون وجلس الملك في مكانه بجانب الرجل الأخر والذي هو أسود الجسد ويرتدي قماش مهرول من الصوف لونه بُني وصاحب شعر أبيض خفيف و أنف وفم كبيران وبارزان وهو نحيل الجسد لدرجة أن العظام تكاد تخرج من جلده. .،وهو نفس الرجل الذي شعرت فاطمة أنه نظر إليها برغم أن هذا من المستحيل.

نظر لهُ الملك وأشار عليه قبل أن ينظر إلي ثيو قائلاً في تعجب:

-من هذا الرجل بجانبي ؟!

وأجابه الأخير في خجل بعدما نظر هذا الأسود إلي الملك و ابتسم ابتسامه خفيفة:

-يا مولاي أنه غاندي. .رجل الدين الأول في المملكة وهو المسئول عن نيران المحرقة ،لقد أخذ المنصب بعدما توفي عمهُ. .أنه من المباركين جلالتك. .

ونظر له الملك علي الفور بعد كلام ثيو وقال وهو يقف ليقف الجميع مرة أخر علي الفور:

-أخبرني يا أغدي. .

قال ثيو مقاطعاً الملك:

-غاندي يا مولاي. .،غاندي. .

وقال الملك مردفاً:

-نعم. .،نعم غاندي. .أخبرني أيها المبارك الأسود الجميل عن أحاول نارنا العظيمة. .،هل كل شيء بخير عندك ؟!

وقال الرجل الأسود بصوت كله حكمة وكأن الصوت الصادر منه هو صوت عميق يتغلغل داخل أعماق القلب:

-طالما النار مشتعلة يا مولاي فكل شيء سوف يكون بخير. .

وقال الملك وهو يحاول أن يثير هذا الرجل:

-أخبرني يا رجل الدين. .،ما الذي يحدث إذا توقفنا عن رمي لحوم المملكة في النار. .،ألا ترى أن من الأفضل أن يأخذها الفقير هنا. .

ونظر ثيو للملك في عدم تصديق وغضب وكأنه يطلب منه أن يصمت قبل أن يتحدث غاندي وهو يبتسم:

-إذا توقفنا يا مولاي عن رمي اللحم في النار سوف نضطر إلي رمي البشر الأحياء فالنار فهي من تأتي لنا بالطعام قبل أي شيء. .

وصمت قبل أن يتابع وهو ينظر في أعينه وكأنه يعلن انتصاره في وجه الأعظم في المملكة:

-وفي وجودك يا ملكنا لن نتوقف عن رمي اللحم فأنت رجل معروف بكرمه أم ماذا ؟!

وضحك الملك له وقال يبتعد عنه بعدما نظر في أعينه:

-أنت تروق لي يا أسود. .

ورجع الملك إلي مكان كرسيه دون أن يجلس ووضع يده علي الطاولة وقال بقوة منهياً الاجتماع:

-لقد تشرفت بكم جميعاً اليوم و أنا أقدر مجهودكم في مساعدتي علي إدارة المملكة. .،والآن علي الرحيل. .

وأردف وهو يغادر بخبث في نفسه:

-لدي بعد الأرداف.. أقصد الأعمال التي تنتظرني. .

***

غادر الملك ورجل الدين وقبلهم القائد العام بيون ولم يتبقى إلا أصبع الحلزون والرجل صاحب الحلي. .،جلس ثيو في مكان الملك بعدما أمر العبيد كلهم بأن يغلقوا باب الغرفة ويتأكدوا من عدم دخول أحد ،وعلي الجانب الأخر وضع آرسنوي كرسيه أمام كرسي الملك في الجانب الأخر من الطاولة. .وقبلها أحضر ثيو زجاجتان من الخمر وكأسان

كبيران ،وبعد أن شربوا الجولة الأولى ضحك الأصبع وقال وهو ينظر إلي ما في يده:

-عجيبٌ هذا الخمر يا صديقي. .!

وتعجب آرسنوي من قوله وسأله عن ما يقصده ،فتابع أصبع الحلزون في سرحان وكأنه يتأمله :

-الخمر يخرج العقل عن تركيزه وبرغم من هذا نشربه ونضحك. .لماذا نفعل هذا ؟! ما السبب. .؟!،هل لأننا نحتاج أن نخرج عن التركيز في بعض الأحيان؟!. .أم لأننا نشربه فقط حتى يُنظر لنا كنبلاء عندما نشتري الأنواع الباهظة!. .أو لأننا رأينا ما يسبقوننا يفعلون هذا فنفعل بالمثل. .أم هنالك أمر أخر لا أعرفه ولا أقدر أن أصل إليه ، ما رأيك ؟!

قال آرسنوي وهو يبتسم واضعاً كأسه علي الطاولة:

-لقد سألتُ والدتي في أحد المرات سابقاً و أنا طفل بعدما أنهت زجاجة كاملة منه وأخبرتني وهي تضحك بجنون أمامي وحتى أني خفت منها وهي تحتضني بقوة وأجابتني عند سؤالي قائلة..

"لماذا أشرب الخمر؟! لأني أريد فعل هذا. .لا شيء يمنعني ،أنا أريد و أقدر يا أحمق.. "

وصمت وقال ثيو في تعجب وهو يحتسي المزيد:

-أننا غرباء بحق ،نفعل شيء بمجرد أننا نريد أن نفعله ولا نهتم بتفاصيل..

وقال آرسنوي وهو يسخر متعجباً:

-دعني أسألك يا صديقي وأخذ رأيك في شيء..

وتعجب ثيو وليردف الأصلع:

-لقد حُرم دفن الجثث من قبل ألآلهة منذ فجر التاريخ ومن يفعل هذا يقتل علي الفوروتقطع أجزاء جسده وترمي في الماء المالح وتوضع في الشمس. .ما رأيك أذا ما كانت ألآلهة قد حرمت الخمر أيضاً ؟!.ما الذي يحدث في رأيك وقتها ؟!

وقال أصبع الحلزون وعليه ملامح التركيز الشديد:

-إذا ما حُرم الخمر ؟! ها!! لأعلنت والدتك الحرب علي ألآلهة كلهم..

وضحك الاثنين لبضع الدقائق وهو يشربون ويلقون النكات فيما بينهم ،حتى قال آرسنوي وعليه علامات السكر محاولاً أن يتخطاها ويكون جادياً:

-أخبرني يا ثيو. .ما خطتك ؟!

وتعجب ثيو هو أيضاً وعليه علامات السكر:

-خطتي ؟! خطة ماذا ؟!

وأجابه الأخر:

-ألم تقل أنك سوف تتولي العرش..

وضحك ثيو له وقال:

-نعم. ..في أقرب وقت. .

***

الفصل الثامن

"يوم اختفاء القمر: الجزء الثاني"

كان صباح يومٌ جديدٌ في القصر الملكي لدى مملكة ما وراء النهر ،وعلي ملامح أصبع الحلزون الضيق وهو يتجهُ إلي غرفة الملك وفور أن وصل لها وقف قليلاً أمام الباب وأمسك بمقبضه و انتظر لبضع ثو اني وقال ساخراً في نفسه وهو يضحك مستهزئاً:

-ما أنا فاعلٌ هنا ؟! كيف وصلتُ إلي هذه الدرجة حتى أيقظ هذا الحثالة النائم مع الخادمات. .؟!

انتهى من تفكيره وفتح باب الغرفة دون أن يطرق حتى ،وفور أن دخل وأغلق الباب نظر إلي الملك النائم علي الأرض وهو عاري الجسد بالكامل وحوله كؤوس وزجاجات الخمر في كل مكان. .،ومع صوت شخيرهُ القوي مما يوحي أنه الآن في عالم النوم وغارقٌ فيه بشدة.

اقترب ثيو وهو ينظر إلي الملك بكل حقارة واشمئزاز ،و اقترب من سريره وأخذ قطعة كبيرة من القماش وراماها علي جسده حتى يستره وبدأ يطرق علي كتفه حتى يستيقظ وقد صار وفاق الملك وقال وهو يقف في مكانه واضعا قطعة القماش حول خصره:

-أين أنا. .كم الساعة الآن يا ثيو ؟!

وكان أصبح الحلزون و اقفاً أمام شرفة الغرفة بعدما أزال الستار عنها وهو يشاهد مبارزة بين رولو قبل أن يصبح القائد العام والجندي الأخر الغريب والذي نحن علي وشك أن نعرف هويته قريباً. .قال ثيو وهو يشاهد هذا المبارزة في مكانه بكل تركيز:

-أنت في غرفة حافلاتك مع النساء يا مولاي ونحن الآن في وقت الظهيرة. .

وقال الملك وهو يتحرك قبل أن يجلس علي حافة السرير من ناحية ثيو في نهج:

-نعم. .،نعم لقد بدأت أتذكر ما حدث. .

وصمت للحظات بعدما نظر إلي ثيو وتركيزه الشديد وسأله عن ما يشاهده ،ليقول أصبح الحلزون وهو يلتفت إلي الملك :

-ألا ترى أن العجوز بيون قد أصبح كبيراً و أنه الوقت المناسب حتى نريحه من تعبه. .

وضحك الملك وقال ساخراً:

-هل أنت تمزح يا أصبع الحلزون أم تتحدث بجديه ؟! أن هذا العجوز موجود من أيام أبينا وكان بمثابة أخيه وذراعه الأيمن. .أنه أحد رموز المملكة ،لا يمكن أن استبدله بأحد وحتى إذا فعلت من يمكن أن يأخذ مكانه ،أنا لا أرى أحد في هيبته يا أخي ،أنسى هذا الأمر أن قدره أن

يموت وهو القائد العام لفرق المملكة.. لا أحد يقدر في الأساس أن يقارعه أنه الأقوى يا ثيو. .

وقال ثيو وهو يلتفت إلي الجانب الأخر ليكمل متابعة المبارزة وهو يقول بثقة وخبث:

-لدى أحد مناسب ليأخذ مكانه يا أخي. .

وتعجب الملك وسأله ممسكاً بزجاجة الخمر التي بجانبه وليجيبهُ ثيو وهو يبتسم ابتسامه رعب وكأنه كان ينوي علي شيء وقد حان وقت تنفيذه الآن. .:

-أني أرشح أبني البكر وزوج ابنتك فلاما ،ليكون القائد العام. .

***

في حديقة القصر تجري مبارزة بين الأخ الأكبر وهو أمير المملكة والملك القادم. .،والأخ الأصغر وسط حضور الأميرة و ابنتهم الصغيرة التي لم تكمل السادسة أو سابعة بعد ومعهم فرو أيضاً ، وفتاة نعرفها جيداً وقد ظهرت لنا وهي منالين قبل أن تتزوج رولو.

كان فلاما في منتصف الثلاثين تقريباً. ،، رجل قوي ضخم العضلات صاحب طول وعرض بارزان. .يرتدي زي الجيش الخاص بخوذته مما يظهر شعره الأحمر الطويل المربوط بعقدة من خارج الخوذة.. وقال لأخيه رولو وهو في شكل مختلف عن ما نعرفه الآن ،فنرى عليه علامات الغضب والضيق دائماً وهو أصلع الرأس وصاحب ذقن أسود طويلة

مع جسده الذي لم يختلف كثيرا برغم أنك تلاحظ أنه أزداد قليلاً وأصبح أضخم. .قال وهو يسخر:

-أرتدي خوذتك يا فتى ،حتى لا أصيبك بقوة. .

وقال رولو ساخراً ببرود:

-هات ما عندك يا عجوز. .لا تتخاذل وقاتل بكل قوتك حتى أهزمك و أنت في كامل هيبتك

وبدأ النزال فيما بينهم والأميرة تقول مشجعتاً زوجها:

-فلاما. .،لا تخسر أمام هذا الولد الوقح والأصلع. .

وفور أن قالت هذا وتلامست السيوف ،قال رولو في غضب وهو ينظر لها مشتتاً:

-من تنعتيه بالوقح يا أمرآة أنتِ ،لا تجعليني أتي إليكِ..

وهنا بالطبع فقد رولو تركيزه ،ليسقطه أخيه علي الأرض ويضع السيف فوق قلبه وهو ينظر في أعينه قائلاً:

-لا تجعل شيء يخرجك عن تركيزك يا فتى. .

وبعدها مد يده لهُ وهو يساعده علي الوقوف ونظر إلي الأميرة وغمز لها وقال مبتعداً قبل الجولة الثانية:

- شكراً علي مساعدة. .،عزيزتي لولو. .

وكانت الأميرة كاملة الخلق. .آية في الجمال كما نقول ،فجمالها لا يوصف بالكلمات وحدها..،ذات وجهاً براقٌ لامع كأشعة الشمس

المتساقطة علي قطرات الندى الموجودة علي سطح أوراق الأشجار.
..رقيقة الصوت مثل العصافيروهي تغني في كل صباح ، كل كلمة تخرج من فمها هي لحنٌ خاص يزرع الراحة في أذان من يسمعهُ. .نظرة واحده من نظراتها الناعمة تكفي أن تذهب بك إلي الجنة ،أما عن شعرها فهو ذا لون أسود حريري ناعم يصل إلي منتصف ظهرها ،لديها ابتسامه تجعل قلبك يركع أمامها. .وعن قوامها الممشوق الفريد والبديع.
بدأت السيوف مرة أخرى تتلاقى معلنةٌ بدأ الجولة الثانية والتي لم تدم دقيقة تقريبا. .،أوقع فلاما أخيه مرة أخرى ولكن هذه المرة دون مساعدة من زوجته. .أوقعه بعدما ضرب قدمه وخل بتوازنه وجعل الجميع يضحك علي منظره وسط نظرات الغضب وهو يقول والسيف بجانبه:
-هذا ليس بعدل. .،قاتل دون فعل هذه الأشياء أنها أهانه. .
وضحك وهو يمد يده للمرة ثانية قائلاً وكأنه يريد أن يعمله درساً:
-عليك أن تعرف أن القتال في المعارك بحد ذاته يا رولو ليس بعدل أبداً..،هذه الأشياء الصغيرة التي أفعلها لأفوزفي بعض الأحيان ربما لا تكون من العدل أو الشرف ولكنها ربما سببٌ يرجعني إلي عائلتي سالماً وهذا كل ما يهم حينها. .هل فهمت ؟! لا قو انين في المعارك مما يجعلها غيرعادلة في الأصل..،هذا كل ما يهم..

ولم يرفع رولو يده رداً علي يد أخيه و اكتفي أن يبعدها وهو يقوم وحده ويرجع إلي مكانه وهو يقول أثناء سيره:

-لا. .،لا أو افقك في هذا يا أخي. .،ماذا إذا قُتلت مطعوناً من الظهر؟! ألا يعتبر هذا أهانه ووصمة عار علي فاعلها ؟!

وقال ببرود و ابتسامه رداً علي رولو غارزاً سيفه في الأرض من أسفله مستنداً عليه بكوعه:

-الأحمق هو فقط من يعطي ظهره لخصمه في وسط المعركة. .،وإذا لم يستغلها الخسم فهي وصمة عار عليه. .

ولم يجب رولو علي فلاما و اكتفى أن يوجه رأس السيف عليه معلناً الجولة الثالثة والتي بدأت بعد قول كادي وهي تُحمل بين أيدي منالين مشجعتاً رولو فجأة :

-رولو. .،لا تستسلم. .

وسط نظرات الأميرة لها وكل من بجانبها وهم جميعاً يضحكون ووالدها الذي قال ساخراً هو الأخر:

-هذه خيانة للأميريا آسلوج قبل أن تكون خيانة لوالدك...،سوف تتعرضين للمحكمة عندما أهزمهُ. .سوف أدغدغ جسدك كله حتى تفقدي الوعي يا فتاة. .

وبدا النزال مرة أخرى في الجولة الثالثة وكان مختلفاً هذه المرة ،فكان رولو عليه علامات التركيز والقوة. .، مسيطراً ويتقدم بضربات علي

أخيه الذي ظل يتراجع والابتسامة المعهودة علي وجهه قد اختفت مما يوحي أنه في حالة من التركيز الشديد الآن هو الأخر ويوجه صعوبات واضحة ،وقال رولو بقوة وصعوبة وهو يدفع بكل أجزاء جسده إلي الأمام:

-لن أخسر أمامك. .،فلاما. .

وفجأة قال الجميع بصوت واحد:

-رولو. .،أنتبه خلفك. .

ولكن رولو ابتسم وقال ساخراً:

-لن أقع في هذا الفخ مرة أخر..

وقبل أن يتابع سقط رولو علي الأرض بعدما تعرض بضربة علي رأسه وليظهر أن هذا من فعله القائد العام بيون الذي ظهر فجأة من خلفه وبمقبض السيف الذي أنزله علي رأسه بقوة ليفقده الوعي. .وليقول بيون بصراخ بعصبية وغضب وسط ذهول الجميع:

-أيها الصغير الوقح ،تترك مهمتك وتلعب بالسيف. .

وأمسكه من ملابسه وهو علي الأرض ورفعهُ بيد واحدة وتابع بغضب:

-لماذا لا تقف بجوار الأميرة و ابنتها أيها الطفل الوقح. .

وقال فلاما وهو يبتسم لهُ محاولاً أن يجعله يهدأ:

-يا معلم. .كنتُ أنا من أخبرته بهذا ،كنت اشعر بالملل قليلاً ،لما لا تهدأ قليلاً وتتركه. .

ورمي بيون برولو علي الأرض ورفع وجههُ لفلاما الذي شعر بالخوف من أعين العجوز وشدّة قسوتها وجديتها ،ليرجع بضع خطوات للخلف قبل أن يجري فجأة لداخل القصر،ليقول بيون وهو يجري خلفه:

-انتظر وتعالي يا جبان لم انتهي منك. .

ووقف فلاما بكل قوة وشجاعة بعدما تعجب من نعت العجوز لهُ بجبان ،ليلتفت فجأة ويقول:

-من تنعته بالج...

وقبل أن يتابع نظر إلي العجوز بتعجب ،غير مصدقاً حالته الهستيرية وهو يجري بحماسة وسيفه ليس في غمده وليقرر الأمير أن يكمل جريه قائلاً خائفاً:

-أنا جبان. . حقاً أنا جبان. .

وكان الجميع في القصر يضحك عليهم وأما رولو المسكين فقد جاءت الأميرة له وهي تحمل ابنتها وسعادته أن يقف علي رجله وعيرته الأميرة قائلة في ضحك:

-لقد خسرت يا وقح ،لا جديد..

***

قي قاعة العرش داخل القصر الملكي لدى مملكة ما وراء النهر. .،كان الملك يجلس بزيه الرسمي الفاخر علي الكرسي الضخم المطلي نصفه من فوق بالذهب والنصف الأخر من الرخام الأبيض ومن حوله علي

الأرض جماجم من المعدن ومن الخلف علي الحائط كان هنالك مربع كبيروضخم من الزجاج الملون الزاهي ومتنوع الرسومات. .هنالك أعمدة ضخمة بيضاء علي شعار المملكة وهي سفينة أسفلها سمكة ضخمة يحيط من حولها النيران ،وفي داخل القاعة هنالك حرس في كل مكان وهم يرتدون الزى الأبيض المعروف بحراس القصروخوذهم ذات اللون المعدني الرمادي. .وكان هنالك أربع درجات قبل الوصول إلي الكرسي العظيم.

الملك يجلس وعليه علامات الملل وهو يستند بوجهه علي كف يده وينظر إلي الحرس وينظر إلي الجاريات وهم ينظفون الأرض من أمامه. ..وظل هكذا لبضع الدقائق القليلة قبل أن يدلف من الخارج أصبع الحلزون وفور أن دخل ببضع خطوات طرقع بأصابع يده وليخرج الجميع من القاعة وكأن الطرقعة مثل أمر ولكن دون قول كلمة واحدة.. وكانت نظرات الملك لهُ منزعجة وتوحي أنه تقريباً يغار منه.

..وقال ثيو وهو يقف بعدما انحنى للملك:

-مولاي. ..أراك غير سعيد. .

ورد الملك ببطيء وضجر:

-وما الذي يجعلني غير هذا. .

و ابتسم ثيو وأجابه:

-هنالك كافلة قد أتت لنا من الخارج وهي محمله بخمر يعتقد أنه مر عليه نصف قرن. .هل أتي بالبعض لك يا مولاي؟!

وظهرت ملامح غير مبالية وحتى أنه حرك يده مشيراً أنه لا يهتم بأمر الخمر الآن ،مما جعل ثيو يتابع كلامه:

-هل المشكلة في نساء القصر يا مولاي ؟! هل مللت منهم ؟!

وكان رد الملك نفسه دون تغير وجعل أصبع الحلزون يتابع وهو يقول في نفسه بعصبية وبالكاد يتمالك أعصابة:

-هذا البغل الكبير هل يريدني أن أرقص له حتى يتحسن مزاجه أم ماذا. .

وقبل أن يتحدث قال الملك وكأن فكره قد ارتطمت برأسه فجأة:

-أريد حفله. .

وتعجب ثيو وقال:

-حفلة ؟! لا مشكلة ولكن يجب أن يكون هنالك مناسبة كما هو العرف يا ملك..

وقبل أن يتابع ابتسم ثيو وكأن فكره قد جاءته هو الأخر ،مما جعله يقول مبتسماً وعليه نظرات ثعبان:

-حفلة. .،حسناً يا مولاي سوف نجهز حفله. .

وفرح الملك وتبدلت ملامحه بالكامل وتابع ثيو:

-لدي فكرة حفلة ولكن عليك أن تو افق علي فكرتي التي عرضتها في صباح وهو قاتل بين بيون وفلاما علي لقب القائد العام. .

وتغيرت ملامح الملك لغضب وهو يقول:

-أخبرتك بردي بهذا الأمر يا ثيو. .بيون رمز من رموز المملكة ولا أقدر علي مساس به. .

وقال أصبع الحلزون وهو يتلوي مثل الثعبان ليقنع الملك :

-يا مولاي أفهم ما تقصده ولهذا لدي خطة بخصوص هذا الأمر. .فقد لا تقلق بشأن هذا. .

وتعجب الملك وقال:

-خطة. .!؟ ما الذي يدور في عقلك . .

و ابتسم ثيو وهو يغادر القاعة قائلاً وهو بالكاد يمنع نفسه من الضحك:

-كل خير. .،كل خير..

***

الفصل التاسع

"قصة يوم اختفاء القمر: الجزء الثالث"

بجانب القصر الملكي..

هنالك مكاناً قريبٌ من أن يكون حلبة ،فهو بالضبط لا يسمي بهذا. .لا بل يدعونه بقاعة المناسبات الهامة ،كان هذا المكان يكتفي بخمس أو ست ألاف متفرج تقريباً في المدرجات التي تحيط به ،وهنالك الأرض أسفل المدرجات وهي قاحلة بالكامل.

مجرد أرض واسعة تكتفي لنفس عدد الناس في المدرجات وربما أكثر ،ونجد أيضاً مثل قاعة صغيرة قريبة من الأرض وهي المخصصة للملك وكل الناس أصاحب المناصب المهمة.

كانت فترة الظهيرة عندما أتى الشعب ومليء المدرجات بالكامل وسط الأجواء الحارة الصعبة ،كان الشعب سعيداً ويهتف بجلالة الملك بكل حماسة برغم أنه لم يحضر بعد.

الأولاد والبنات يجلسون بجانب بعضهم البعض دون تفرقة.. والأحباء الو اقعين في الغرام يمسكون الأيدي وسط القبلات دون خجل.

وكل أب وأم يجلسون وبينهم أطفالهم الصغار. .والعجائزوكبار السن في أيديهم زجاجات الخمروعلي ملامحهم الضيق والعصبية. .،وحتى أن عجوزشمطاء قالت لزوجها وهو يحتسي رشفة من مشروبة الخاص:

-الصوت. .،الصوت مرتفع. .لماذا هذا الصخب والملك لم يحضربعد ،لماذا لا تصرخ فيهم حتى يصمتوا. .

و ابتسم الرجل لها وقال بعدما لاحظ أن خمره قد انتهى:

-اتركيهم أيتها الشمطاء. .،ألا ترِي الفرح علي وجهُهُم. .لقد كنا مثلهم قبل وقتً طويل ،هل نسيتِ أم ماذا. .؟!

ولم ترد علي زوجها و اكتفت أن تظهرعلامات الضيق وكأنها تسبهُ في داخل نفسها.

أزداد عدد الحراس في كل مكان ،في داخل وخارج الحلبة مما يوحي أن وقت حضورالملك قد اقترب ،وقد صارفورظهورثيو أصبع الحلزون وليهتف الجميع باسمه ،فالجميع يعرفه. .وفورأن دخل ووجد كل هذا الترحيب ،قررأن ينزل ويترك صحبة آرسنوي الذي كان معه وقتها.

هبط من علي سورالقاعة ولف الحلبة وهو يحي الشعب ،وسط بعض الناس الذين بدءوا يتحدثون فيما بينهم ساخرين منه:

-أنه الكلب المدلل لدى الملك. .

-كيف لرجل مثله أن يكون في القصر. .

-فقط الحمقى من يشجعونه. .

-هذا الرجل غريب..

كان هذا الجانب هو الكاره والساخر منه وأما علي الجانب الأخر فهنالك من يدعمه ويحبه ويظهر هذا في حوار العجوزان مرة أخرى.

..فقال الرجل لزوجته العجوز بعدما أمسك بزجاجة الخمر وبدأ يدقق النظر فيها محاولاً أن يرى إذا ما كان هنالك القليل أو حتى نقطة:

-أخبريني من هذا الرجل في اعتقادك. .؟!

تعجبت العجوز منه وقالت ساخرة وكلها ثقة:

-أنهُ كلب الملك بالطبع. ..أنهُ معه دائماً ولا يتركه. ..الجميع يعرف أنه أخوه الصغير ولكن من خادمة أغوت أبيه ومن كرم الملك وحنيته رفض أن يقتلها ويقتله معها وفضل أن يربيه في القصر. ..الجميع يعرف هذه القصة ،لماذا تسأل الآن ؟!

وضحك كبير السن لها وقال بعدما نجح في أن يحتسي أخر نقطة من الخمر بعد عذاب في إخراجها من القارورة أو الزجاجة الصغيرة هذه.

نظر إلي ثيو بشدة وعليه علامات القلق أو الخوف تقريباً ،ويصاحبها الحيرة. .وكأنه يرى وحشاً داخل أعينه و ابتسامته:

-أنتِ شمطاء يا عجوز. ..هذا ليس بكلب الملك. ..دعكِ من كلام الحمقى ولا تكونِ مثلهم ترديدً الكلام. . ،فكري قليلاً وأمعني النظر في أعينه وهو يتجول حول أرض الحلبة. ..ألام تلاحظِ فيها المعاناة ؟! هذا ليس بمجرد كلب يتبع الملك لا. ..ربما يكون ابن أحد الخادمات كما

تقول القصة المعروفة التي خرجت من القصر قبل وقت طويل ،ولكن وبرغم من كل هذا فهو خطير حقاً. .هنالك الكثير و أنا منهم يعتقد أن الملك مجرد رأس تحتوي علي دماغه. .

وقالت العجوز في حيرة وخوف:

-أخفض صوتك. .أن كلامك هذا خطير، ماذا سوف نفعل إذا سمعنا أحد الحراس. .

و انتهى وقُطع هذا الحوار بعد ظهور الملك أخيرا و ثيو مازال في الأرض يحي الشعب وليُنسى بالطبع وليقوم الجميع بالهتاف للملك واستمر هذا لقاربه الخمس دقائق تقريبا دون توقف حتى جلس الملك ليستريح وليرجع ثيو ويجلس بالكرسي بجانبه وعلي الجانب الأخر كان الكرسي فارغ وفي الخلف كان هنالك الأميرة التي أخذت التحية من بعد والدها وكان هنالك حارس أخر يقف خلف الأميرة و ابنتها وهو رولو ،فعملهُ هو مر افقة الأميرة في كل مكان وفي كل وقت لأنه المسئول عنها وعن سلامتها.

قام الملك من كرسيه وقام الجميع من خلفه بالطبع وقام الشعب معهم، وهب بعدها صموت غريب مريب. .لآن جلالته علي وشك أن يلقى كلمته وقال وهو يحرك يده مع كل كلمة وهو يخفض ويرفع من صوته عند الحاجة وعلي ملامحه السعادة والفرح :

-أنا سعيد بحضور معظم الشعب هنا ومن لم يقدر فأنا اعتمد عليكم أنتم من هنا لنقل كل ما سوف يحدث في هذه المعركة التي سوف يتحدث عنها مساعدي المخلص ثيو ،ولكن قبلها..

وصمت والتفت إلي الخلف ومد يده ليقدم أحداً ما وهو يقول:

-قبلها أريد أن أقدم لكم ضيفاً عزيزاً علي مملكتنا وهو الأمير أسياس الحاضر عن أبيه ملك وحاكم شقيقتنا مملكة ديستوبيا. .الملك مالهير الذي هو مريض الآن ونتمنى جميعاً الشفاء العاجل له.

عندما قال الملك ديستوبيا انتهت عاصفة الصمت وبدأ الشعب يتحدث وعليه ملامح القلق قائلين في خوف وتنافر واضح..:

-ديستوبيا ؟! لن نسمع بهم منذ الملك السابق. .

-لماذا علي مملكتنا أن تدعو أحد من هذه الأرض. .

-أسياس ؟! لم أسمع به من قبل. .

-ملك الجريمة مريض وهذا أبنه ؟! ربما يكذب. .

كان الأمير أسياس شاباً في منتصف العشرينات مثل رولو تقريباً ،لديه شعر وحواجب شقراء وكان أملساً دون ذقنً أو شارب. .أعينه خضراء مثل ألوان الضفادع ،كان طويل ونحيف الجسد ويرتدي زي الملوك من هذه الأرض وهو الرداء الأصفر ،ولا يظهر أنه معه سيف أيضاً علي غير المعتاد وكان معه فتاة وشاب أخر و اثنين حراس من مملكته. .،رفع الأمير يده وهو يحي الشعب الذي لم يستجيب له وظل في حالة من

القلق والاضطراب وكان رد الأمير علي هذا الفعل هو الابتسام فقط وحتى أن أصبع الحلزون حاول أن يحدث الشعب ولكن الأمير رفض هذا وقال بصوته الناعم مثل وجهه الهادئ علي عكس نظرات أعينه التي تظهر أنه يعاني:

-لا بأس ،لا بأس يا سيد ثيو. ،، علينا نحن أهل الأرض السوداء أن ننال ثقتكم وليحدث مثل هذا الأمر علينا أن نتوقف عن الحديث ونظهر بعض الأفعال. .

وفور أن انتهى من حديثه مع كل من في القاعة. .وسط تعجبهم من كلامه وحكمته الكبيرة برغم من صغر سنة وعدم خبرته.علي الفور تحرك ناحية السور أو الجدار الذي يفصل القاعة عن أرض الحلبة وقفز عليها وهو يأمر الحراس جميعهم أن لا يتبعوه. .ومشى وسط نظرات الصمت والدهشة علي الملك وثيو وكل القاعة ،والشعب في المدرجات.

كان الجميع يشاهد في صمت حركة الأمير في أرض الحلبة وهم جميعاً و اقفين مصدومين ،وفور أن وصل إلي منتصف أرض الحلبة. .أمسك بردائه ونزعه ورماه علي الأرض. .،وليقول الملك في تعجب وهو ينظر إليه وهو في نفس الوقت يمنع ثيو والحراس جميعاً من النزول إلي الأرض ليوقفوا عن ما يفعله:

-ما أمر هذا الطفل. .؟! ما الذي يجول في عقله يا ترى. .؟!

وليصدم الجميع مرة أخرى عندما هبط الأمير بركبتيه وسجد علي الأرض وهو يصرخ بصوتً مرتفع وقوي وجبينه علي الأرض مغروس وكأن حجر قد سقط عليه:

-أنا أمير مملكة ديستوبيا والملك القادم لها من بعد أبي. .أريد من أهل شقيقتنا مملكة بلاد ما وراء النهر أن يقبلوا اعتذارنا وأسفنا علي أفعالنا في الماضي. .أتحدث بنيابة عن شعبي و أبي وحتى أختي وخطيبها وحراسي الذين ر افقوني اليوم إلي أرضكم الجميلة والر ائعة. .أقبلوا اعتذارنا وإذا لم تفعلوا فلن نستسلم بسهولة وسوف نجبركم بأفعالنا الحسنة أن تقبلونا كما فعلتم في السابق قبل أن يحدث جميعنا ما نعرفه. .

وظل الأمير علي الأرض ر اكعاً للشعب ،وغيمة الصمت تحيط علي المكان بأكمله و انتهت عندما ظهر الملك علي الأرض دون أن يأتي أحد معه كما أمر الأمير قبلهُ ،ووقف أمام الأمير وبدأ يصفق بيده وسط تعجب كل الموجدين وليقول ثيو صارخاً علي الشعب:

-ملككم يصفق و أنتم لا. .عارٌعليكم جميعاً. .

وعلي الفور صفق الجميع ،الجميع إلا ثيو الذي أمرهم بدوره أن يفعلوا ولكن لم يفعل هو. .وبعد مرور بضع الثو اني ،أمسك الملك بكتف الأمير من كلا الجانبين وبقوة جعله يقوم من مكانه وقال وهو يرفع يده ممسكا بيد الأخر:

-صفقوا لمن يستحق ،صفقوا لمن يريد التغيروالتكفيرعن ماضيه وماضي شعبه. .صفقوا ،صفقوا. .

***

ورجع الملك وبصحبته الأميروجلس كل واحدٌ علي كرسيه الخاص وهم بجانب بعضهم البعض. .،وفورهذا بدأ أصبع الحلزون كلمته حول عرض القتال بين القائد العام لفرق المملكة وفلاما الأميروالملك القادم لمملكة بلاد ما وراء النهر.

وكان الاثنين يجلسون في قاعة صغيرة وقتها أسفل الحلبة ولا يدرون عن ما يحدث فوقهم وهم يحتسون الخمروقال فلاما محتسياً كامل القارورة :

-يا معلم. .،هل سنقاتل بكامل قوتنا أم ماذا ؟!

وقال العجوزلهُ في عصبية:

-أصمت..،لماذا تسأل هذا السؤال ؟! هل أنت خائف مني أم ماذا ؟!

وضحك الأميرلهُ وسخرمن رده وقال:

-أخاف ؟! أخاف منك أنت ؟! يا معلم أني أقوة منك و أنت تعرف هذا. .،سوف أسحقك اليوم ،حاول فقط أن تتفادى الموت. .هذا كل ما يهم.

.

وترك العجوزقارورة الخمرخاصته ونظرإلي فلاما ببرود ،قائلاً بكل ثقة وجديه:

-طفلٌ مثلك يحتاج الألف السنوات حتى يصل إلي قوتي وخبرتي في القتال. .لا تتفاخر بجسدك الشاب يا فتى ولا تكن مغروراً ، و أنا سابقاً قد قررتُ أين سوف يكون موتي. .أتريد أن تعرف ؟!

وضحك الأمير لكلام بيون وهو ينظر في أعينه التي تمتلئ حماسة وقال وهو يأخذ قارورة الخمر لدى العجوز ويحتسى ما تبقي:

-لا أهتم أين سوف تموت. .لأنك لن تفعل ،أنت قوي يا معلم ولن يقدر أحد علي هزمك غيري ومن حسن الحظ أن هذا القتال بجولات وإلا قتلتك من الضربة الأولى. .

وسخر العجوز بضحكة وهو ينظر إليه قبل أن يقول بجدية:

-لا تغتر. .،لا تغتر يا فتى. .

وقاطع حديث الاثنين الجندي فرو وهو يأتي مهرولاً بسرعة وبالكاد يقدر علي أخذ نفسه وقال:

-لقد حان الوقت..

وعندما مر فلاما من أمام فرو أوقفه وتمنى له التوفيق..

***

ظهر بيون والأمير علي أرض الحلبة ،كل منهما قد أتى من جانب وسط أهازيج الجمهور وهي تحيهم بحماسة. .وقف الاثنين أمام بعضهم وأعلن ثيو قائلاً شروط القتال وهو ينظر إلي الملك والذي كان مشتتاً بعدما رأي أحد الخادمات وهي تصب الخمر في كأسه.

نظرة ثيو له توحي أنه علي وشك أن يفعل شيء قد يندم عليه مستقبلاً مثل الزوجة التي تنظر إلي زوجها قبل أن تطلب الطلاق في لحظة غضب..،ألتفت أصبع الحلزون إلي الشعب في قلق وقال:

-أن هذا القتال بين الأميروالقائد العام لفرق المملكة ليس بغرض ألرفاهية كما ذكر. .لأنه قتال من جولة واحدة..

وبعد هذه الجملة سقط كأس الخمر من يد الملك وهو ينظر إلي ثيو وفي الحلبة نظر بيون إلي فلاما وعليهم علامات الدهشة وعدم التصديق مثلهم مثل الملك وكل الموجدين علي عكس أصبع الحلزون الذي نظر إلي أعين الملك وهو ينظر له وكان في الخلف آرسنوي يضحك واضعاً يده علي فمه حتى لا يراه أحد وهو يستند علي أحد الأعمدة في الظل وكأنه يعرف بهذا الأمر سابقاً. .ونظرات رولو للأميرة التي قامت وصرخت في أبيه قائلة في رعب وقلق:

-أوقف القتال يا أبي. .

وقف الملك علي الفوروقف الجميع من خلفه وفي كل أرجاء الحلبة وقال لثيو وهو يقترب منه بوجهه:

-ما الذي تفعله يا مجنون. .؟لن أمرك بفعل هذا يا أحمق يا عديم النفع. .أنهي العرض الآن. .

قال ثيو وهو ببرود وهو ينظر له:

-أجلس يا مولاي. ..لا تقلق لن أسمح بموت أحد هنا. .فقد أجلس حتى لا يعتقد أحد أن هنالك خطباً ما. .

وبعد لحظات قاطع الأمير الشاب الملك ويده اليمنى وقال في تعجب:

-هل هنالك مشكلة ؟!

وظل الاثنين للحظات أخرى ينظرون لبعضها قبل أن يلتفت الملك وهو يبتسم للأمير قائلاً وهو يجلس في مكانه:

-لا تشغل بالك بشيء أبداً. .فقط بعض الأمور ألتنظيمه أرجعها مع ثيو

وقال ثيو بعدها:

-ليبدأ القتال. .

ولتطرق الطبول علي الفور. .

***

الفصل العاشر

"قصة يوم اختفاء القمر: الجزء الرابع"

اليوم الذي يسبق أحداث الحلبة ،في ليل أزداد فيه البرد والأمطار الغزيرة علي كافة أنحاء المملكة وسط ترقب وقلق من الجميع. .
في داخل القاعة التي يجتمع فيها مجلس المملكة والتي كانت فارغة ومظلمة حتى دخلها أصبع الحلزون وفيه يده مصباح مشتعل بنيران خضراء بجانب خمره الخاص .
دخل وجلس في مكان الملك وهو يضع المصباح أمامه وبجانبه قارورة الخمر الكبيرة ذات اللون الأحمر ،وبعدها بلحظات بدأ يحتسي بشراها وعلي وجههُ ملامح الاضطراب والقلق. .وقال فجأة وهو ينظر إلي السقف:
-لقد تأخر آرسنوي. .
وفور أن قال هذا طرق باب القاعة ودخل أحد الحراس بعدما أمره ثيو أن يدخل ،وقال الحارس أن السيد آرسنوي يطلب مقابلتك وليضحك مساعد الملك ويخبره أن يدخله وأن لا يسمح بدخول أحد أخر خلفه.

دخل آرسنوي ونظر إلي أصبع الحلزون وقال في عصبية وهو يقف أمامه علي الطرف الأخر من الطاولة:

-ما تفعله جنون يا ثيو ،أن أفعالك هذه قد تأثر علينا جميعاً. .

وضحك ثيو لهُ وهو يشير له أن يجلس قائلاً:

-لدي خطة يا صديقي. .،لا تقلق. .

وضحك الأخر وهو يحرك الكرسي ليضعهُ مكان ما يقف وهو يقول ساخراً:

-أن هذا الكلام تستطيع به أن تخدع الملك الأحمق فق..

وقبل أن يكمل جملته وضع ثيو قارورة الخمر بجانبه بقوة وعصبية مقاطعاً إياهُ..،ليقول ببرود وهو ينظر إلي آرسنوي الذي صمت وخاف من نظرات أعينه:

-أنتبه للسانك وإلا قطعته ووضعته بين يديك يا تاجر العبيد يا أصلع. .،لا تنسى من تتحدث عنه هو ملكنا وأخي ،كُن أكثر حذراً. .

ونظر الأخر إلي الجانب وقال في أسف:

-أنا أسف. .،لم أقصد شيء. .ولكن يا ثيو أن ما تفعلهُ الآن لجنون قد يدمر ما بنيانهُ طيلة هذه السنوات الماضية من لحظة موت والدك الملك السابق. .

وقال ثيو ببرود وتركيز وبصوت خافت..،وهو يحتسي الخمر واضعاً كلتا يديه الاثنين علي الطاولة :

-طيلة السنوات العشر السابقة كنتُ فيها مجرد كلب للملك. .،كنتُ أنهي جميع أعماله ،جميع مسئوليته. .جميع مقابلته ،كنتُ حتى أتي بالخمر والنساء لهُ حيثما أراد وأشتهى. .

-كنتُ ظله يا رفيقي. .،كل هذه المدة كنت هكذا. .هو ينام علي أثداء و أنا علي مشاكل الناس. .هذا ليس بعدل ،ليس بعدل أبداً. .

وصمت وهو يقوم من مكانه وفي يده خمره وليردف في عصبية وغضب وسط نظرات التاجر لهُ والذي لم يدرك ما يجب أن يقوله ليهدأ في حالته هذه:

-كل هذا الوقت كنت أنتظر لحظة. .،لحظة واحدة لأسقطه وأخذ حقي. .

-أنا الوريث الشرعي لهذه المملكة وليس هو. .،هو ليس بأفضل مني. .لا فرق بيننا يا صديقي صدقني ،لا فرق. .

-هو إنسان و أنا كذلك. .هو يجري في عروقه دماء والدنا و أنا كذلك. .هو تربى في القصر و أنا كذلك. .نحن متساوين. .

-نحن أخوه. .أنا من ولدتُ أولاً وليس هو. .أنا الذكي والمخطط. .وهو الغبي غير المسئول الو اقع في غرام أن امرأة يراها. .

-في الماضي عندما كان يفعل شيء خاطئ كنتُ أنا من يتم لومي وليس هو. .لأني أبن عاهرة وهو أبن أحد الأميرات. .

-يخبروني أنت شقيقة الأكبر اعتني به ،إذا فعل شيء غير صحيح فهذا بسببك أنت. .

-لم يصدقني أحد ،لم يساعدني أحد. .نظرات الجميع لي باحتقار كانت تقتلني كل يوم في القصر..

-ليته قتل أمي و أنا مازلتُ في داخل أحشائها ،حتى أستريح من كل هذا..

وصمت مرة أخري ولينظر إلي قارورة الخمر قبل أن يرمي بها علي الأرض وليجلس مرة أخرى في مكانه متابعاً وهو حزين والدموع تشق طريقها علي خده. .وليتابع بنبرة طفل صغير يبكي..:

-أنا لا أكره يا صديقي. .،أنا لا أكره أخي ولكن هي فقط الأقدار ومشيئة الآلهة من جعلتنا هكذا. .

-أنا لا أخطط لقتله من الأساس. .أنا لا أقدر علي فعل هذا ،أنه أخي فوق أي شيء. .

-ولكن يجب أن أفعل شيء ،من الواجب أن أرد ما حدث لي للجميع حتى يشعروا بما فعلوا. .

و ابتسم الأخر وقاطعة وهو يقول بخبث:

-لا أنت لست من النوع الذي يتحرك بمشاعره يا أصبع الحلزون.

..،هنالك شيء أخر. .سبب أخر يجعلك تريد أن تفعل هذا ،أخبرني به يا ثيو. .قل لي ما هو. .؟!

وضحك ثيو وهو ينظر إلي صديقة ،قائلاً في ابتسامه وهو يضع يده فوق شعره ر افعاً طرف أعينه بكل خبث وثقة:

-لديك حق. .،أن هذا ليس بسبب يدفعني أن أفعل هذا وبرغم من هذا فأنا حقاً لا أعرف..،لا أعرف حقاً لماذا يجب أن أفعل هذا. .ولكن تستطيع القول أني فقط أريد أن أفعل هذا. .

وضحك الاثنين قبل أن يقوموا من مكانهم وليغادروا القاعة وقبل أن يفعلوا وعند وقوفهم أمام الباب قال ثيو بثقة وقوة للتاجر:

-غداً سوف يموت بيون ويتسلم أبني قيادة الجيش وهكذا تكون نصف أو لا معظم قوة المملكة بين يدي وتحت تصرفي. .

وأجابه آرسنوي علي كلامه وقال في حيرة وتعجب:

-وماذا إذا خسر فلاما. .ما الذي سوف يحدث وقتها ؟!

ضحك أصبع الحلزون وقال وهو يفتح باب القاعة بكل ثقة:

-لن يحدث هذا. .،أنه مجرد عجوز قد ولى زمانه. .أنه انتصار سهل لفلاما غداً..

وتابع ثيو في داخل نفسه وهو بالكاد يخفي ضحكاته:

-وحتى إذا كنتُ مخطئاً وكان العجوز قوياً. .هل سوف يكون قادراً علي قتل تلميذه ؟! لا ليس لهذه الدرجة. .أنه انتصار مضمون ،غداً مع موت بيون سوف أبدا تحركاتي. .

***

يوم الحلبة ،النزال بين بيون وفلاما علي وشك أن تبدأ. .
كان الشعب يهتف عالياً وبقوة يرفقهما الحماسة بعد انتهاء الخطاب و اقتراب النزال بين اثنين يعتبرا الأقوى في المملكة كلها.
ووسط كل هذا الصخب نظر الاثنين إلي بعضهما دون قول أي كلمات وفي الجانب الأخر في القاعة التي يجلس فيها الملك كان الأمر مغاير تماماً. .فعلى ملامح جلالته القلق والخوف وهو ينظر إلي أصبع الحلزون الذي كان بارداً ولم يبادله النظرات برغم من علمه أن أخيه يصب نظره إليه. .،وأما الأمير الشاب الجالس علي يمين الملك فكان علي وجهه علامات الحماسة فالعجوز بيون معروفاً في العالم كله وكان من العلامات الفارقة في طمس الثوار قديماً في الحرب الأهلية في مملكة التي أتى منها.
نظر فلاما من حوله بعدما اشتددت الأصوات في المدرجات وهي تطلب القتال ونزع السيوف من أغمدتها ،ولكن ملامح وجهه الأمير تشير إلي قلقة وخوفه.. وعدم قدرته علي استيعاب ما يحدث من حوله ،فقال الخائف وهو يحدث العجوز الذي تراه هو الأخير وتقول أنه أصيب بشلل ربما. .قال في حيرة وخوف:
-معلم. .،ما الذي يحدث ؟! لقد أخبرونا أنه قتال شرفي من عددت جوالات وليس قتال الجولة الواحدة ؟! أنا لا أقدر علي فعل هذا. .،أخبرني ماذا نفعل. .؟!

وفجأة قبل أن يتابع الأمير نحيبه وعويله مثل النساء ،قاطعهُ العجوز بيون بضحكاته و ابتسامته وهو يقول في حماسة مخرجاً سيفه الحاد ذا اللون اللبني من غمده:

-توقعت أن يعمل أبيك شيئاً غير متوقعاً بالمرة اليوم ولكن أن يصل إلي هذا الحد. .

-لا. .لا لم أتوقع هذا ،أحسنت يا أصبع الحلزون ولكنك أحمق لأني قوي ،قوي جداً إلي درجة لا تتخيلها. .

وصمت وأردف بعدما أخرج كامل سيفه ووجهُ إلي فلاما المضطرب والحائر ذا الوقفة الغير متزنة:

-هيا يا فلاما. .،هيا يا بني أخرج سيفك لننهي هذا الأمر. .

قال الأخير وهو يشير بيده رافضاً أن يخرج سيفه وأن يقاتل ودموع علي خده:

-أنا. .،أنا لا أقدر علي فعل هذا. .لا أقدر أنا أسف ،سوف أنسحب. .

غضب العجوز وصرخ قائلاً وهو يجري نحوه ملوحاً بسيفه وعلي ملامح وجهه الجدية:

-فلاماااا. .،قاتل يا جبان..لا تهدر هذا الشرف الذي سنناله من معركتنا. .أنا لم أربيك علي الانسحاب ،لا تقلل من شأني. .لا تجعلني أندم علي أخذك تلميذاً لي..قاتل ،قاتل..

كان الأمير يتفادى ضرباته أثناء حديثة ،إلي أن ابتعد عنه بالكامل حتى يهدأ. .،وأما في القاعة بعيداً كان علي ملامح ثيو الصدمة من رد فعل أبنه وكان الملك يضع يده علي خده وهو يشاهد بترقب ما يحدث أمامه والأميرة في الخلف تنظر وتبكي علي زوجها في قلق. .و ابنتها الجالسة علي قدميها وهي تسأل أمها الباكية:

-أمي. .،ما الذي يحدث ،لما لا يقاتل أبي. .

وزاد بكاء الأم وسط نظرات رولو الذي يشاهد وهو يقف خلفها في غضب وعصبية وفي لحظة تحرك الشاب إلي مقدمة القاعة وسط نظرات الجميع له في تعجب وهو يمشي من بينهم ،ووصل إلي مكان الملك ووقف أمامه وسط ذهول الجميع وتسألهم علي ما يدور في باله. وفجأة صرخ رولو من مكانه إلي أخيه الأمير وقال بقوة وغضب وعالياً لدرجة أن شعب في المدرجات كله قد صمت وركز مع كلامه :

-فلاما!!!!..،قاتل. .

نظر فلاما إلي أخيه في تعجب بعدما نجح مرة أخرى بتفادي سيف العجوز المجنون الذي لا يهدأ أبداً. .،وقال الأمير لأخيه الصغير وهو يحدث نفسه حتى لا يتشتت في القتال:

-رولو. .،أنا لا أقدر. .لا شرف في الموت ،لا أقدر. .

قال رولو صارخاً مرة أخرى هذه المرة بنفس نبرة العصبية والغضب:

-أخي. .،قاتل. .قاتل. .قاتل لأجل عائلتك ،زوجتك. .ابنتك. .أنا. .أنسى الشرف ،أنسى المملكة. .أنسى كل شيء. .ركز علي عائلتك فقط..

وصمت الشاب وتابع وهو يبكي:

-أن زوجتك و ابنتك الصغيرة يبكيان الآن. .أفعل شيء يا أحمق. .

-لا تمت يا جبان. .

وفجأة تغيرت ملامح الأمير وتقدم وبدا يقترب من العجوز هذه المرة وأخرج سيفه اللامع البراق ذا اللون الرمادي ،وقال وعلي وجهه علامات الثقة والجدية هذه المرة:

-رولو. .أخبرهم أن لا يقلقوا عليَ ،سوف أفوز بالتأكيد. .

وقال العجوز وهو يبتسم في حماسة نازعاً ملابسه ،ممزقاً إياها:

-كلام جميل يا رولو. .أحسنت يا فتى ،لنبدأ الآن الجدية. .فلاما هل أنت مستعد. .؟!

وقال فلاما وهو يجري ناحية العجوز بسيفه:

-معلم أنا أسف لأني كنت علي وشك أن أهين شرف النزال ،سامحني علي هذا وسامحني علي قتلك أيضاً. .

وقال بيون بعدما تلاقت وتضاربت سيوفهم:

-أحلم. .،أحلم. .

***

أهازيج الجمهور تزداد علي أصوات أرتطام السيوف ببعضها البعض... والدماء بدأت في السيلان وشق طريقها من كثرة الجروح علي كلا الطرفيين.

وصلنا إلي نهاية النزال بين الاثنين. .النزال الذي دام تقريبا أقل من ربع ساعة..،ربع ساعة من الضربات المتتالية بالسيوف دون توقف. .،تعب الاثنين ووصلا إلي أقصى مراحل تحملهم. .،ولكن علي العجوز تتضح أكثر فهو كبير السن مهما كانت قوته.

وقف الاثنين أمام بعضهما وعلي كامل أجسدهم الجروح والكدمات ونزيف الدماء بالطبع. .،ينهك العجوز بقوة وهو بالكاد يقدر علي أخذ نفسه واضعاً يده علي ذراعه أليمنى التي تهشمت ولا تتوقف عن النزيف. .،وفجأة نزل العجوز علي ركبتيه وهو بالكاد يظهر أنه واعي من فقدانه الشديد للدماء وسط نظرات فلاما له الذي أصيب في ركبته وصدره بشدة وشعرة الذي أصبع هائجاً بعدما قطعت ربطته أثناء القتال.

مشى فلاما و أقترب من مكان العجوز وقال له في ضيق وهو ينظر إلي سماء:

-معلم. .،أنا أسف. .ولكن يجب أن أفعل هذا. .

ولم يجيبه العجوز من شدة ألأمه وتعبه وليردف الأمير:

-سوف افعل هذا سريعاً دون ألم. .

زاد الجمهور حماسة بعدما أصبحت نتيجة النزال واضحة مما جعل فلاما يرجع خطوتين للوراء ويرفع سيفه ليحيه الشعب بقوة وحماسة قبل الضربة الأخيرة وهو يبكي حزيناً علي معلمه وما علي وشك أن يفعله به الآن. ،، وفي القاعة كان علي ثيو ملامح الارتياح والابتسام والأميرة التي هدأت وفرحت بانتصار زوجها ،ومعهم الأمير الشاب الذي استمتع بمشاهدة القتال ، ورولو الذي كان حزيناً علي العجوز والملك الذي وضع يده علي رأسه ناظراً للسماء قائلاً في نفسه:

-بيون. ،،أنا أسف. .لقد كنت صديقاً لعائلتنا ،أغفر لي . .

وفجأة صمت الجميع ووقف في مكانه. .

الشعب وكل من في القاعة. .الجميع قد وقف بلا استثناء وعلي ملامحهم الذهول والتعجب. ،،غيمة من الصمت قد هبطت مرة أخرى علي الحلبة ،تعجب فلاما من الصمت لنصف ثانية قبل أن يبدأ بالالتفات للخلف ليجد فجأة أنه قد طعن في القلب من قبل العجوز. وكان العجوز يبكي وهو يعمق السيف في داخل جسده أكثر من الخلف قبل أن يسحبه بعدها ويقف ويقع أمامه الأمير وليقول ساقطاً علي الأرض مبتسماً في أخر كلاماته:

-أخبر رولو أن يعتني بعائلتي. .يا معل..

وقال العجوز و اقفاً صامداً برغم من كل هذا باكياً بشدة ناظراً إلي السماء:

-ها..،سوف أفعل بالطبع. .

وبعدها سقط العجوزهو الأخر فاقداً الوعي. .

في القاعة كان الجميع لا يقدر علي استيعاب ما قد حدث للتو ولتصرخ الأميرة وهي تبكي في أحضان رولو الذي بكي هو الأخر وسط نظرات الفتاة الصغيرة التي قالت وهي لا تدرك ما يحدث من حولها:

-رولو. .،أيقظ أبي أنه نائم في وسط الحلبة. .

وقاطع ثيو كل هذا وهو يصرخ في الحرس جميعهم قائلاً بغضب وعصبية باكياً علي أبنه:

-أتوا لي برأس بيون الآن. .

كان يصرخ وهو يدفعهم بقوة ليذهبوا. .وسط نظرات الملك الذي ظل و اقفاً دون حراك. .ناظراً إلي مكان النزال في سرحان وعدم تصديق. .

وفجأة بدأ الجنود جميعهم يستعدون لقتل قائدهم. .

***

الفصل الحادي عشر

"قصة يوم اختفاء القمر:الجزء الخامس"

كان الجميع في حالة من القلق والاضطراب وسط صراخ الأميرة وهي علي الأرض تبكي وتحتضن ابنتها صغيرة التي لا تدرك ما قد حدث إلي الآن.

رولو حزيناً يقف ومازال غيرُ مصدق ما قد شاهده بأم عيناه للتو ،وقد قاطع سرحانة صوت أبيه وهو يصرخ في الجنود ليهبطوا إلي الحلبة ويقتلوا بيون العجوز قاتل الأمير.

وأما بعيداً وبالتحديد في أرجاء مدرجات التي يجلس فيها الشعب بدأ نوعاً من الحزن يظهر ،فكانت النساء والفتيات تبكي فالأمير محبوب لديهم بسبب وسامته وطريقته الطيبة في معاملة الجميع ،وهو أحد رموز الحب الحقيقي في المملكة. .،والرجال يقفون غير مصدقين حالهم كحال رولو وكانوا يتشاورن ويقولون في قلق وحيرة:

-كيف يعقل ؟! كيف لعجوز أن يفعل كل هذا ؟!

-أتساءل من كان العجوز هنا ؟!

-لقد باركت الآلهة العجوز علي الأمير ،كيف يحدث هذا. .؟!

-ما الذي علي وشك أن يحدث الآن. .؟!
-لقد مات الأمير. .،لقد مات الأمير. .
-هذا ليس بعجوز. .لا بل أنه أقرب أن يكون وحشاً..
-كيف صمد إلي هذا الحد. .
-هل فاز لأنه قوي أم لأن الأمير قد استهان به. .
-علي أحد أن يفعل شيء. .،أن العجوز غارق في دمائه. .علي أحداً ما أن يساعده قبل فوات الأوان. .علي الملك أن يفعل شيء ،لماذا لا يصدر الأوامر؟!

***

فجأة أحاط العديد من الجنود بالحلبة ،وإلي أن طوقوا الحصار بالعجوز والأمير وسط حالة أخرى من الاضطراب تظهر علي ملامح وجهُهُم.
فهم حائرين من أمرهم ولتنفيذ أمر قتل العجوز الذي فاز بكل شرف وبمباركة الآلهة جميعهم. .،ينظرون إلي بعضهم البعض وهم جامدين في مكانهم وكان من بينهم فرو التي ارتعشت أيداه وهو يمسك بسيف ويوجهه إلي العجوز فاقد الوعي الغارق في الدماء.
وفي نفس هذا الوقت ،عند القاعة كان رولو يصرخ في والده باكياً في حالة من الحيرة وكأن جزء منه غاضب من العجوز وجزء أخر لا يفعل.. ،وقال بقوة وعصبية:

-والدي. .،كيف تفعل هذا ؟! لقد فازبكل شرف. .أصدرأمربإحضار العجوزومعالجته وليس بقتلة ؟!

كان ثيو ينظرفي أعين أبنه ويراه يصرخ فيه دون أن يبادله قول أي كلامات.. واكتفى بأن يصمت وعيناه تدمع برغم من ملامح وجهه الباردة وكان وقتها رولو ممسكاً به بغضب وعصبية وقد تركه بعدما شاهد هذه الدموع تشق طريقها في نهراً علي خده ،وقال وهو يبتعد عنه خائفاً حائراً من شكله وبرودته وبرغم من بكائه :

-أنا. .،أنا لا أفهمك. .ماذا تريد ،لماذا فعلت كل هذا من البداية ،أنت السبب في كل ما يحدث الآن. .

وقاطع الملك حديث رولو وتكلم أخيراً بعد كل هذا الصموت وقال:

-أذهب يا فتي. .،أمرالجنود أن يتراجعوا علي الفوربأمرمني. .

وقاطع ثيو حديث جلالته وقال في برود:

-لا. .يجب أن يم..

وقبل أن يتابع التف الملك وضرب أصبع الحلزون وأسقطه أرضاً وسط نظرات الذهول والتعجب علي الجميع في القاعة ،وتابع بعدما أصبع مثل الثورالهائج بسبب نظراته الخشنة والمرعبة إلي أخيه الساقط علي الأرض أمامه والذي وضع يده علي خده غيرمصدقاً أنه قد ضرب للتو من أخيه الأصغر:

-رولو. .،لماذا مازالت واقفاً. .أذهب ،هذا أمر. .

وقال رولو قبل أن يهبط من السورويتجه للحلبة للملك وهو يبتسم :
-حسناً يا عمي. .،اعتمد عليّ. .
وكان الأمير شاب ينظر إلي رولو في تعجب وحيرة يرفقهما نظرات أعجاب من شخصيته وحماسته. .

***

كان رولو يجري ويصرخ في الجنود بأن يتوقفوا ويتراجعوا عن بيون. .وفور أن وصل وقف أمامه وقال للجميع يحثهم أن يعيدوا سيفاهم إلي أغمدتها :
-لقد فازبيون بكل شرف. .لنعالج جروحه قبل أن يموت هو الأخر. .
ولم يلبي أحد ندائه ليتعجب من هذا ومن نظراتهم الحائرة ليقول في قلق وترقب وهو يضع يده علي سيفه بعدما شعر بشيء غريب:
-ما الخطب يا رفاق ؟!
قال فروو وهو يتقدم الجنود:
-نحن فرقة القائد فلاما يا رولو ونريد أن نقتل العجوز كما أمر السيد ثيو. .،ولكن. .
وقاطعه رولو وهو يقول ساخراً في ضيق:
-ولكن ماذا ؟! لا تقدر،صحيح؟! لأنك في داخلك تعرف أنه قد فاز بشرف..

وصرخ فرو في عصبية وهو بالكاد قد أصبح قادراً علي حمل سيفه من شدّة توتره وحيرته وقال وهو يوجهه إلي رولو الو اقف أمامه:

-بالطبع قد فازبكل شرف ولكن. .،ولكن. .أريد أن اقتله. .جزءاً مني يريد أن يفعل هذا وجزء أخريخبرني بأن لا أفعل. .لا أعلم ما يجب أن يفعله ،جميعنا هكذا هنا. .لا نعلم ما الذي يجب علينا فعله ،نحن نريد فقط الثأرلقائدنا ولكن لا نقدر. .

وسقط علي الأرض وتابع بعدما سقط سيفه:

-أخبرنا يا رولو ما الذي يجب يفعله..العجوزهنا لا نقدرعلي مسامحته وفي نفس الوقت نعلم أنه لم يعمل شيء خطأ. .ماذا نفعل الآن..؟!

وغضب رولو من كلام فروو أخرج سيفه وقال في عصبية:

-تباً لكم جميعاً. .،لا أهتم بما تريدون أو ما يجب أن تفعلوا يا حمقي. .هذا شيء يجب أن تكتشفوا بأنفسكم ،قم يا جندي من علي الأرض وأمسك بسيفك إذا كنت تريد أن تقتل العجوز. .قم. .

وبعد لحظات نظر الجميع إلي بعضهم واسقطوا سيوفهم وليبتسم لهم رولو وهو يلتفت ليحمل العجوزعلي كتفه وهو ينظر أيضاً إلي جثة أخيه الميت وليقول وهو يوجهه كلامه لجنود أخيه:

-أحملوا جثة قائدكم يا جنود. .

***

الجنازة ليلاً وسط هطول الأمطار بشدة عند منطقة أسفل الثلاث جبال المقدسة ذات الألوان الغريبة والمختلفة. ..

كان هنالك وقتها الآلف من حشود الشعب يقفون جميعهم حول حفرة النار المقدسة ممسكين بشموعهم وهنالك أيضاً من كان يقف علي وحول الجبال بسبب الازدحام حتى يشاهد مشهد إلقاء الجثة.

الملك موجوداً وحوله فرق الجيش جميعها دون استثناء. .وكانت الأميرة تبكي في حضنه دون توقف وسط نظرات الجميع الحزينة علي حالها وأما رولو فكان يحمل الطفلة الصغيرة أبنه أخيه والتي لم تبكي وظلت في حالة من عدم المعرفة وحتى أنها فجأة وهي بين ذراعي عمها قالت ببراءة وتعجب:

-رولو. .،لماذا يغطون أبي بالأقمشة الصفراء. .؟!

ولم يبادلها رولو النظر وعلي ملامحه الجمود والصدمة..،وحتى أن مقلة عينة قد برزت ووسعت علي وجهه وكأنه يتساءل هو الأخر مثلها عن سبب.

قال في نفسه وهو يبكي حزيناً غير مصدقاً ما يدور من حوله وكأنه لا يتذكر ما حدث صباح اليوم:

-لماذا أخي يغطى بالقماش. .؟!،لماذا تبكي الأميرة. .؟!،لماذا تجلس آسلوج علي كتفي ولا أقدر أن ألتفت و أنظر في وجهها. .؟! أين أبي من كل ذلك ؟! لماذا لا يقف بجانب عمي ؟! أين ذهب يا ترى ؟!

وقاطع الرجل الأسود البسيط وهو كبير رجال الدين في المملكة حوار رولو مع نفسه وهو يقول وأمامه جثة الأمير فلاما ومن جانبه الملك و أبنته و أيضاً القادة كلهم ومعهم الأمير الشاب وأخته وخطيبها..برفقة آرسنوي و أناس أخرى ذات أهمية.

ولكن لا أثر لثيو حتى الآن وكأن أرضاً قد اشتقت وبلعته..،وقال خطابة بقوة وهو يحرك أيده في كل كلمة وكأنه عازف أوركسترا :

-قد ولدنا جميعنا من النار ومن النار نعود. .،النار وهي أصل الحياة وكل الوجود. .،من النار نولد ونأتي لهذا العالم ومن العالم نموت ونرجع لها ونتحد بها إلي الأبد. .

-يا أخوتي لا تحزنوا لا بل أفرحوا و أقيموا أفراحاً لدينا اليوم أميرٌ سوف يباركنا عند النار جميعاً..

وصمت وبدأ بيده يتحسس جثة الأمير وهو يقول وسط صارخ ونحيب النساء وضيق الرجال في داخلهم وكأنهم يتمنون ولو يقدرون أن يبكوا هم أيضاً:

-الأمير فلاما من نسل ابن المحارب والمحرر العظيم بوندي. .،وزوج أميرتنا الجميلة لولو وأب آسلوج وأخ الجندي البارع رولو و أبن أخ ملكنا العظيم . .نودعك الآن وإلي الأبد طالبين منك رحلة سعيدة إلي أن تصل للنار الزاهية ذات الألوان اللامعة. .

وفور أن أنتهي هذا الحكيم من خطابة ، رُمت الجثة داخل الحفرة وفور أن حدث صرخة الطفلة الصغيرة آسلوج وهي تقول باكية:

-أبي. .،لماذا ترموه. .سوف تحرقه النار ،لينقذه أحد. .

والتفت عمها لها وأخذها بين ذراعية بقوة وهو علي الأرض مثل العبد الراكع الباكي وقال والفتاة تبكي وتصرخ بقوة وسط نظرات أمها التي بكت من بعدها أكثروهي بين ذراعي أبيها. .:

-آسلوج. .،أنا أسف. .أنا لا أعلم ما أقوله. .فقط لا تبكي ،لا تبكي. . لا أريدك أن تبكي ،أنا أسف. .أنا أسف. .

وبكي مرة أخرى وعندما رأي أن الفتاة الصغيرة لا تتوقف قرر أن يتابع وهو يحاول أن لا يبكي وسط نظرات الجميع لهم وحتى أن خطيبته كانت بجانبه تنظر إلي حالة الميئوس وضم الفتاة إلي حضنه وتابع :

-توقفي. .،توقفي. .ألم تخبرني سابقاً أنكِ أقوى مني و أنك لن تبكي أبداً إذا تعرضتِ لائذة أو ما شابه. .ألم تخبريني بهذا يا كاذبة أم كنتِ فقط تخدعينني. .

و أبعد رولو الفتاة عن ذارعيه وأوقفها أمامه و ابتسم لها وقال والدموع لا تتوقف:

-أنظري. .أنا ابتسم ،أنظري يا آسلوج أنا أقوة منكِ. .أنتِ لا تتسمين مثلي ،أنتِ ضعيفة. .

ونظرت خطيبته له وقالت وهي تضع يدها علي كتفه:

-رولو. .،توقف أنها مجرد طفلة. .

وصرخ فيها رولو بغضب وعصبية وهو يبعد يدها عن كتفه وكأنه طفل صغير يأبى أن يطيع والدته:

-ابتعدي أنها قوية. .أعرف أنها قوية وسوف تبتسم الآن. .

وأعاد النظر إلي آسلوج وقبل أن يحاول أن يجعلها تتوقف عن البكاء. .رائها تبتسم وهي تبكي كحالة وليتعجب وهو يرجعها إلي ذراعيه قائلاً بفخر ودموع لا تتوقف ولكنها ليست دموع حزينة هذه المرة لا بل دموع السعادة وقال و الملك يبتسم له بفخر هو الأخر وبجانبه الأمير الشاب الذي تعجب من أمرة مرة أخرى:

-آسلوج. .،سوف أكون دائماً بجانبك وإذا اضطررنا أن نبكي مرة أخرى سوف نفعل ولكن بابتسامة. .

***

صباح اليوم التالي عند غرفة الأمير الضيف الشاب. .

كان الأمير مستلقياً علي الأريكة المريحة في غرفته وعلي ملامح وجهه الانزعاج والتوتر من صوت أخته وخطيبها في الغرفة المجاورة له وهم يتحدثون عن الحب والجمال دون توقف وقال في سخرية وغضب وهو يرتدي حذائه وعباءته مستعداً لمغادرة غرفته:

-ربما علي الذهاب قبل أن يتطور الأمر بينهما. .

وفورأن فتح باب غرفته وجد من أمامه رولو يمروليناديي عليه قائلاً وهو يحاول أن يوقفه:

-يا جندي توقف مكانك..

وليقف رولو علي الفورمعتذراً قائلاً:

-سيدي الأمير. .لم أراك ،أرجوا أن تتقبل اعتذاري..

وقال الأميرله وهو يبتسم:

-لا. .،لا عليك أبداً..أتمنى أن تر افقني إلي شرفة القصر،أريد التحدث معك ،إذا سمحت. .

وقال رولو في تعجب وكأنه يتساءل عن السبب:

-حسناً. .

وقف الاثنين عند شرفة القصروليقول الأميروهو ينظر إلي أرض المملكة في شرود وكأنه قد سحربما يراها:

-لقد رأيتك أمس و أنت تبتسم للملك قبل أن تهبط للحلبة وتعجبت من هذا و أيضاً في نفس اليوم عند الجنازة قد فعلت نفس الشيء وزاد تعجبي أكثريا. .أعذرني لا أتذكرأسمك. .

ابتسم رولو وقال:

-رولو. .،أدعي رولو أحد جنود الفرقة العامة وأحد تلاميذ القائد العام بيون. .

والتف الأميروقال في ذهول:

-أن تلميذ العجوز هذا. .،إذا أراهن أنك حزين. .

وقال رولو وهو يبعد نظره من عليه:

-أنا حزين. .ولكن العجوز هو الأكثر حزناً. .فكان أخي هو تلميذه الأفضل والأبرع و أقرب الناس له. .

وتعجب الأمير من كلامه وقال:

-فهمت. .،حسناً لقد وضحت لي بعض الأشياء الآن. .،ولكن أخبرني عن سبب ابتسامتك ؟! فهي تذكرني بأحد أبطال مملكتنا. .

قال رولو وهو ينظر إلي سماء:

-لا أعلم. .،أنا فقط أريد أن أشعر بالاطمئنان و أيضاً أريد تخفيف عن آسلوج. .

وقال الأمير الشاب وعلي نظراته تتضح التعجب وكأنه يعتبره صديقه:

-فهمت أنك حقاً مثله. .

وتعجب رولو وتساءل عن ما يقصده ليردف الأمير:

-بس. .،أنت تشبه بس وهو أسطورة مملكتنا كما أخبرتني أمي و أنا صغير. .

-أن بس هذا يأتي ليلاً ويرقص للأطفال التائهين وهم يبكون من الخوف ويرجعهم إلي بيوتهم وعندما يرى أحد حزين يذهب ويرفه عنه بإصدار أصوات من فمه غريبة. .وعندما يرى أي عبد يشتريه ويجعله

يرقص معه حتى يفرح. .وعندما يضربه أحد يبتسم له ،أنت مثله تبتسم في أوقات صعبة ،لقد ذكرتني به يا رولو. .،أمرك غريب. .

نظر رولو و ابتسم له وهو يغادره قائلاً:

-لقد سعدت بالحديث معك يا سيدي الأمير،ولكن علي الرحيل لأخبار عمي عن أمر اختفاء والدي. .

****

الفصل الثاني عشر

"قصة يوم اختفاء القمر: الجزء السادس"

كان صباحاً عندما جلس الملك في قاعة العرش وعلي ملامح وجهه عدم الراحة والضيق. .كان يستند برأسه علي كف يده وهو ينظر إلي أحد الخادمات ذات الجسد الجميل والمثير. .،وكانت الخادمة تنظف من أمامه الأرض بمنشفة وبعض الماء..،ينظر لها وهو يتحرك بنظراته مع تحرك كل عضلة فخذ منها. .لم يكن مستنداً الظهر علي كرسي ،فهو في حالة من الترقب وكأنه يدرس حركتها باحترافية. .وسرعاً ما قاطع أحد الجنود الملك وهو يدلف إليه قائلاً راكعاً ،وليشيح الملك بنظراته ويرجع ليستند بظهره وهو يفرد يديه ليضعها علي كلتا ركبتيه:

-جلالتك. .الجندي رولو يريد الحديث معك ،هل أدخله. .؟!

وحرك الملك رأسه ويديه موافقاً ،وليدخل بعدها بلحظات رولو وهو يركع أمام الملك قائلاً في خشوع:

-جلالتك. .،أرجو أن لا أكون قد قاطعتك في هذا الصباح. .ولكني أريد أن أتحدث معك في شيء مهم ،إذا سمحت لي. .!

و ابتسم الملك له وتحرك نحوه دون كلام إلي أن وضع يده علي كتفه وليرفع الجندي وجهه ويتعجب من فعل الملك وهو يقول بعدما مد يده وساعده أن يقوم من مكانه:

-لا داعي للرسميات يا رولو..،في مثل هذه الأوقات الصعبة تصبح العائلة أهم شيء حتى نتحاشى تفككها ،أم لا تو افقني..

وأخذه في حضنه وليقول رولو بعدما شعر بنوع من الراحة:

-أنت محق يا عمي..

و ابتسم الملك وهو يقول مازحاً أبياً أن يترك رولو من حضنه:

-الآن أثبت مكانك يا فتى ولا تتحرك..،مؤخرة هذه الخادمة سوف تفقدني صوابي..

وضحك الاثنين للحظات وليقول رولو وهو يبتسم:

-حسناً يا عمي لن أتحرك ولكن عليك أن تعلم أن ابنتك قد استيقظت وربما تصل في أي وقت الآن..

وظهرت ملامح القلق علي أعين الملك وليبتعد عن أبن أخيه وهو يقول بقوة وجديه:

-لتغادر جميع الخادمات القاعة..،نظفوا في وقت أخر..وأحضروا لي آرسنوي في أسرع وقت..

ورجع الملك إلي كرسي العرش وقال بنبرة كلها ثقة:

-أعرف لما أتيت الآن يا رولو..،بخصوص والدك أليس كذلك؟!

وقف رولو أمام الكرسي عند السلالم التي تسبقه وقال في قلق وهو يو افق علي كلام عمه:

-نعم يا عمي. .لا أثر له في أي مكان بعد أحداث يوم أمس وحتى أنه لم يكن بجانبك في جنازة أبنه وهذا شيء يحيرني. .أنا قلق عليه يا عمي..، كل شيء يشير أنه ليس في داخل القصر وهذا أمر مستحيل فهو لا يخرج منه أبداً وحتى إذا فعل يذهب ومعه فرقة كاملة. .،ألا ترى أن هذا الأمر غريبٌ نوعاً ما. .

قال الملك وعلي نبرة صوته نوعاً من الحيرة والقلق فهو يعلم بدوره أن أخيه لا يخرج من القصر إلا للضرورة فقط. .،فهو يخاف من الشعب ونظر اته وكلامه حوله وحول أمهُ.

وقبل أن يجيب الملك علي رولو تذكر أحد المرات في وقت سابق عندما خرج ثيو وحده إلي وسط المملكة ليتفقد حال الشعب وقد أجابهُ الشعب وهو يهينه قائلاً:

-يا أبن العاهرة. .

-شخصاً مثلك في القصر يجعلني أشعر بالغثيان. .

-هل زوجتك عاهرة كما كانت أمك يا كلب الملك. .

-أخبرنا هل أنت حقاً أبن ملكنا العظيم من الأساس..

-لماذا لا تموت. .

-أخبرني أين أجد أمك حتى أجعل لك أخاً يا نجس. .

كانت هذه الكلمات كفيلة بجعل ثيو يقبض علي أكثر من خمسين شخصاً في هذا اليوم ويعدمهم جميعاً علي يده بدم بارد وهو يضحك علي وجههم وهم يتوسلون ويبكون أسفل أرجله..،قطع رؤوسهم وعلق بعضها علي بعض المتاجر في سوق المملكة وأما الباقية فقط رامها لكلاب القصر. .ولم يقدروقتها الملك علي فعل شيء لتجنب مثل هذا الأمر.

وقد قاطع الحارس ذكريات الملك وهو يقول:

-جلالتك أن السيد ثيو و. .

ولم يكمل الحارس جملته حتى دخل أصبع الحلزون من الباب وبرفقته آرسنوي في مشهداً باردٌ يظهر من مشيته. .،وقال الملك في تعجب بعدما قام من مكانه:

-ثيو. .،أين كنت يوم أمس. .؟!

ركع ثيو للملك وقال ببرود ونبرة غرورونظرات استعلاء ، بعدما وقف مجدداً وهو ينظر إليه أبنه الذي تعجب مثل عمه من ظهوره الآن:

-أخي العزيز. .،كنتُ أحتاج بعضٌ من الوقت بمفردي حتى أفكر بذنبي الذي فعلته يوم أمس..،فأنا في الأول والأخر أتحمل المسئولية بالكامل لموت فلاما وهذا الهرج والمرج الذي حدث كله. .

-أخي سوف أتقبل حكمك العادل والحكيم ولن أزيد عليه بشيء ،مستعداً. .

كانت علي ملامح الملك ورولو الصدمة وعدم التصديق وعلي ملامح آرسنوي الجمود وهو يشاهد صديقة أصبع الحلزون يتحدث وكأنه في داخله يضحك ويسخر من أدائه. .قال الملك وهو يرجع إلي كرسيه:

-هذا جيد يا أخي لقد أعجبتني صراحتك. .

-يا حراس خذوه ثيو إلي الزنزانة حتى أفكر بعقاب يستحقه. .

وقد حدث ولم يتبقي في القاعة إلا الملك ورولو ومعهم آرسنوي. .،وقال الشاب إلي عمه في حيرة:

-عمي. .

وقبل أن يتابع قال الملك له مقاطعاً إياه:

-رولو. .،لا تنسى أن والدك في الأساس هو أخي. .لن آذيه بالطبع ،لا تخف. .

قال آرسنوي من بعد الملك:

-أن الروابط الأسرية شيء جميل يا جلالتك. .ألا توافقني الرأي ؟!

وأوقفه الملك وقال له بعدما وقف أمامه:

-أخبرني يا تاجر الخادمات. .،أين كان أخي يوم أمس. .

لينظر الأصلع وهو يرفع رأسه إلي السماء ومعها يديه قائلاً:

-لتأخذني الآلهة جميعها إذا كنت أعلم يا مولاي. .

ونظر له الملك للحظات وعلي ملامح وجهه الاشمئزاز والعصبية ،فهو لا يطيقه أبداً كما اتضح في أكثر من مناسبة..،وأشار الملك له أن يغادر وليصير هذا.

نظر الملك إلي أبن أخيه وقال وهو يقف أمامه:

-لا تقلق بشأن أبيك لن يؤذيه أحد. .

و ابتسم رولو لعمه وقال ضاحكاً:

-أقلق بشأن أبي ؟!. .عمي أن أخاك من يجب أن نقلق منه. .

و ابتسم الاثنين وغادر كل منهما في طريقة. .رولو إلي آمر اته التي طال غيابه عنها والملك إلي أبنته وحفيدته المكسوران . .

***

يوم أمس في أحدى القرى البعيدة عن القصر الملكي ،وفي نفس وقت الجنازة وسط هطول الأمطار بغزارة ودون توقف. .

كان أحد الرجال قد نزل من علي حصانة الأسود صاحب الهيبة والشكل المهيب. . أحد الأحصنة من القصر الخاصة بالجنود ،كان هذا الرجل يرتدي عباءة سوداء تغطيها قطرات الأمطار وكانت علي جسده بالكامل من شعر رأسه إلي أنمال أرجله.

نزل أمام أحد البيوت الفقيرة مثلها مثل ما بجانبها في المنطقة. .ربط حصانة وتوقف للحظات أمام باب الخشب الضعيف للبيت وطرق مرتين ودخل علي الفور وكان البيت مظلماً بالكامل قبل أن يشعل

الرجل الغريب هذا أحد الشموع التي يعرف مكانها سابقاً. .وبعد ظهور الضوء نجد أن أحد السيدات العجائز مستلقيةٌ علي سرير وهذا أمرٌ غريبٌ في حد ذاته بسبب أن الآسرة في مثل هذه المناطق صعب أن تجدها.

كانت العجوز شمطاء ولكن ضعيفة علي عكس المعروف في عجائز هذه المنطقة فهم مشهورين بأعمال السحر وصنع الشر..كانت أيضاً هرمة جداً ويكاد أن يسقط من علي جسدها الجلد كله وعظامها أيضاً التي تبرز بوضوح برغم من جسمها العريض والطويل. .شعرها الأصفر الخفيف الذي يمكن عده من قلته وعندما تقترب أكثر منها ترى أن أرجلها من عند ركبتيه مقطوعان.

أقترب الرجل غريب الأطوار من مكانها وأخذ أحد الكراسي الخشب ووضعها أمامها وقال في فرح وسعادة وحتى أن نبرة صوته توضح أن عينه تدمع وهو يمسك يدها ويزيح بيده الأخرى جزء من العباءة علي رأسه:

-أمي. .،هذا أنا ثيو. .

كانت هذه العجوز هي العاهرة والدة أصبع الحلزون والتي بها كان يهان ويتم السخرية منه في أرجاء المملكة كلها..،وبرغم من هذا كان ثيو يحبها ويهتم بها بعدما طردها الملك السابق بعد أن أتم سن العاشرة. .،كان هو من حماها من الجنود بعدما علم أن أبيه يريد أن يقتلها خوفاً من

أن تفضح أموروشئون القصروقد علم بهذا وصارووجدها سريعاً بعد طردها وخبئها في أحد القرى وظل يتابع أمرها في قلق حتى مات أبوه وأطمئن عليها بالكامل.

وفي كل مرة يختفي فيها أصبع الحلزون من القصركان يذهب لها ويتفقد حالها. .،وهو دائماً ما يتذكر أخر مرة كانوا فيها معاً في القصر وهي تحضنه بقوة ليلاً في غرفتهم وتبكي في حزنٌ وضيقٌ علي حالها واضعةٌ يدها علي جبينها وكأنها تتألم من الصداع والضغط علي نفسها ،وتقول لأبنها الصغيروالغيرواعي بما يحدث من حوله:

-هذه الحياة صعبة. .،لم أعد أتحمل يا ثيو. .

-لماذا لا يقتلني وينهي أمري بدلاً من هذا العذاب. .

-نظراتهم لي تقتلني يا صغيري وكأنهم يريدون أن يقطعوا رأسي. .

-أخافُ الخروج من غرفتي. .أخافُ النظرمن الشرفة. .أخافُ أن يبعدوني عنك فجأة. .

-أنت كل شيء لي يا ثيو. .

-لا تصبح مثلهم. .لا تكرهني ،لا تبغضني. .لا تنظرلي بهذه النظرات كما يفعلون ،أنا والدتك يا ثيو. .أنا أهم شيء في حياتك لا تنسي هذا. .

لم يفهم ثيوكلامها في هذه الليلة ولكنه فعل وهو يتعارك مع الجنود في صباح اليوم التالي وهو يرى أمه تطرد من القصروهو بلا حول ولا قوة وتحول كل أدركاه وفهمه إلي غضب وجنون وهو يستمع مختلساً حديث

أبيه إلي الجنود ليقتلوها في مشهداً كان هو السبب في كل ما يوشك أصبع الحلزون علي فعله لهذه المملكة.

كان يبكي وهو ينظر إلي أمه بعدما نال من جسدها الزمن وقال وهي نائمة من تعبها بسبب مرضها وهي لا تقدر علي فعل أي شيء ولا حتى فتح أعينها ونظر له:

-لا تقلقي. .،لا تقلقي يا حبيبتي. .تحملي قليلاً ،لقد بدأتُ التحرك. .،طيلة هذه السنوات كنتُ أستعد فقط لما هو قادم. .قد حان الوقت أخيراً يا أمي سوف أجبرهم جميعاً أهل هذه المملكة علي طاعتي بالخوف والرعب وبعدها سأسقطهم وأسقط أنا معهم..أليس هذا ما تتمنيه مني ؟!أليست هذه نبوءتك عني ؟! ،تحملي ليوم العيد. .يوم اختفاء القمر بعد شهرين من الآن ،اليوم الذي تبدأ فيه النهاية ،كوني علي قيد الحياة وشاهدي ما أنا علي وشك فعله. .

وبعد أن انتهى ثيو من كلامه شعر بيد أمه تشد علي يده وليفرح وعيناه مازالت تدمع ليقول في لهفه وهو يقترب من وجهها:

-كنتُ أعرف. .،كنت أعرف أنك قوية يا عجوز. .أمي أعلم مدى قوتك ،أستمرِ فقط و انتظري. .سوف انتهي قريباً

وغادر ثيو البيت وفك رباط حصانه وركبهُ وقال وهو ينظر إلي السماء وقطرات الماء تضربه وعلي وجهه ملامح التحدي والابتسام:

-أيتها الآلهة شاهديني و أنا أسقط كل شيء. .شاهديني ربما تأخذونني معكم بسبب عبقريتي ودهائي فأنا رائع وذكي. .أنتم تحتاجونني ،أنا الأفضل. .أنا الأقوى. .أنا كل شيء. .

وركل حصانه وهو يقول وسط الأمطار التي لم تتوقف بعد:

-إلي صديقي. .آرسنوي. .

***

وصل بحصانه إلي مكانٌ فيه حشدٌ من الناس يقفون أمام شيء قريب من أن يكون منصة عالية وكانت هذه المنصة مليئة بالفتيات الصغيرات التي لم يتجاوزن العشرين بعد وهم عراء الجسد و أيدهم مربوطة بعقدة قوية.

منهم من تجلس وتضم قدميها بيدها وهي تبكي محاولة أن تخبئ وجهها..،ومن تقف تحرك جسدها وكأنها تعرضه كسلعة ومن كانت علي ملامحها وجهها عدم التصديق ومن علي نظرات أعينها عدم المبالاة وكأنها أصبحت ميتة أو أصبح هذا المعتاد عندها.

آرسنوي يجلس أسفل المنصة وأمامه طاولة وصفوف من الرجال والنساء ليشتروا هذه الأجساد الناعمة لأغرضاً عديدة.

تغلغل ثيو بين حشود الناس حتى وصل إلي صديقة الذي قال مبتسماً عندما رآه:

-أين كنت يا صديقي. .كانت الجنازة تحتاج لنظامك. .

قال أصبع الحلزون وهو يشده من يده ليمشي معه:

-تعالى معي لا وقت. .

وقام علي الفور من كرسيه بعدما أمر أحد أتابعه بأن يجلس مكان ويبيع العبيد.

وذهبوا الاثنين ووقفوا بعيداً عن الناس وأمام أعينهم المنصة المليئة بالنساء وقال ثيو فور أن وقفوا في مكانهما:

-سوف أسلم نفسي يا آرسنوي. .؟!

وتعجب من كلامه وليتابع الأخر:

-أن أخي لن يؤذيني أنا أعلم بهذا وسوف أسجن فقط ربما لخمس أو ست شهور أو ربما يحبسني في أحد الغرف هذا كله لا يشغل بالي ولا اهتم بشأنه..بل كل ما أريده في هذا الوقت هو شيء واحدٌ ،هو السيطرة علي القصر من الداخل..

وتعجب آرسنوي من كلامه وقال:

-أن العلاقة بينك وبين أخيك لا أفهمها يا صديقي ،أن الرو ابط الأسرية شيء جميل حقاً. .ولكن اخبرني كيف ستفعل ذلك ؟!

ضحك ثيو وقال ساخراً:

-بك وبخادماتك يا صديقي. .

فلم يفهم وتابع ثيو قائلاً:

-أريد نشر كل هذه النساء في القصر وأخبراهم ببث التشكيك في كل أذان الجنود. .أن النساء هم فقط القادرين علي تغير تفكيرنا ،ألا تو افقني الرأي. .

***

الفصل الثالث عشر والأخير

"قصة يوم اختفاء القمر: الجزء السابع والأخير"

يوم اختفاء القمر،صباحاً..
كان الجميع يركض وفي حالة من الهرج يوم أمس لتجهيز ساحة المملكة ووضع المنصة فيها.
المنصة التي يقف عليها الملك كل عامين بمناسبة هذا العيد وقد صار وجُهزت المنصة في الصباح وحتى أن رولو بنفسه هو من تفقدها ووقف عليها ومعه العجوز بيون بعدما تعافى وبعدما قرر أن يتنحى عن منصبة بسبب يده المقطوعة والذي عين بدلاً عنه كان رولو بعد ضغط الملك والأميرة عليه ليو افق ،لأن رولو رأي وقتها أن الأنسب هو العجوز فهو يعرف خبايا الفرق كلها وأدرى بها و أكثر خبرة من أي أحد وحتى إذا أصبح ضعيفاً ،ولكن الملك قال في هذا اليوم جملة جديةٌ وحازمةٌ وفيها بعض الكراهية والتي لم ينساها القائد العام الجديد أبدا وهي:
-أنا أحب العجوز يا رولو ولكن في نهاية الأمر قد قتل أبن أخي وأخاك وزوج ابنتي.. ،لا يجب أن ننسى جميعاً هذا أبداً. .لا ضرر من بعض

الحقد والكراهية اتجاهه فلقد فرق عائلتنا بطريقة أو أخرى. .،هل فهمت ما أرمى إليه بكلامي. .؟!

كان هذا الحديث قبل شهر وفي داخل قاعة القصر بحضور الأميرة التي ضغطت بدورها هي الأخرى عليه ليو افق عندما قالت ساخرةٌ منه كالعادة:

-مازالت جباناً يا رولو. .،هل تخاف من هذا الحمل الثقيل علي كاهليك. .،لم تتغير يا صغير ولو قليلاً. .

وقال رولو بعدما نجحت في استفزازه:

-أخرسي. .

ولكنها اقتربت منه وضربته علي خده وقالت في غضب وعصبية وكأنها تحاول أن تحسه علي شيء لم يلحظه بعد ،وهي الأخرى في مرحلة ما في حديثها قد بدأت تنهار وكأنها قالت كل ما في داخلها اتجاه في هذه اللحظة:

-أسمع أيها الأحمق الصغير. .،أنت الوحيد في هذا العالم الذي أقدر بوجوده بجانبي علي الشعور بالأمان حتى بعد موت زوجي. .،أنت الوحيد الذي جعلني ابكي بكل راحة و أنا بجانبه. .

-الجميع هنا ينادني بالأميرة والسيدة ،والملكة القادمة وكل هذا...

ولكن أنت مختلف فأنت تنادني باسمي وتقلل من شأني وتعاملني عادياً منذ أن كنت طفلاً و أنا شابة. .،أخوك لم يفعل هذا أبدا وكان يحترمني

دائماً حتى بعد أن أصبحت زوجته. .،أنت..أنت طوال عمرك لم تنادي بالأميرة ولا مرة. .،والآن يا رولو بصفتك الحارس الشخصي لي طيلة السنوات الماضية أمرك بأن تقود الجيش والفرقة العامة كلها. .

وبعدها أخذتهُ في حضنها وتابعت وهي تبكي وهو مصدوم من كلامها:

-هل فهمت يا رولو. .؟!،هذا من أجل مصلحة الجميع..

وقال وهو بين ذراعيها بكياً ناظراً إلي السقف:

-نعم. .،نعم. .سوف أفعل ،سوف أحمي المملكة والجميع هنا. .

كانت هذه أحداث يوم تعين القائد العام الجديد. .

***

برجوع إلي صباح العيد. .

رولو قد انتهى من جولته حول ساحة المدينة وبجانبه بيون إلي أن وصلوا أعلي المنصة ووقفوا فيها ونظروا إلي الساحة أسفلهم في سرحانً وحيرةٌ وكأن الاثنان لديهم شيء ما يخبئونه وكاد العجوز أن يتكلم بعدما أشاح بنظره إلي القائد العام قبل أن يقاطعه فجأة الأخير قائلاً وهو ينظر إلي الساحة أسفله والرياح البرادة تهز فرورأسهم وكأنها تتر اقص:

-من يصدق أن هذه الساحة الضخمة سوف تمتلئ ليلاً بآلاف من حشود الناس وهم يمسكون بشموعهم ذات الألوان الزاهية والمختلفة. .

وأشاح العجوز نظراته من عليه قبل أن ينظر له الأخير ويتابع حديثة وعليه بعضاً من البرود والسرحان :

-تعرف يا معلم إلي الآن لا أفهم لما قد قررتُ أن أحميك في هذا اليوم المشئوم ؟! عندما أجلس مع نفسي ليلاً قبل أن أذهب في النوم أتخيل نفسي بنصل سيفي أخترق قلبك وعلي ملامح وجهي نظرات الفرح.

..ربما في يومٌ ما اتحادك يا عجوز وأحقق ما أتخيله أم ما رأيك. .؟!

وأشاح بعدها القائد العام بنظره من علي العجوز،ونظر إلي الساحة أسفله مثل الأخر بجانبه. .،وكانت الرياح الباردة تزداد شدة وشعرهم يتراقص أكثر وأكثر وسط صموت عجيب وغريب قبل أن يقاطع العجوز كل هذا بضحكاته قائلاً:

-صدقني يا صغير لن يحدث هذا أبداً. .

وتعجب رولو وهو يبتسم ولم يلتفت له بعد:

-ولما لا يحدث. .؟!

وقال العجوز وهو يلتفت له:

-لأني قد قررت كيف سيكون موتي. .

وتعجب القائد العام والتفت له هذه المرة وقال:

-وكيف تريد أن تموت يا عجوز. .

وأجابه وهم ينظرون في أعين بعضهما البعض:

-أريد أن اقضي أخر أيام حياتي و أنا في حضن أمرآة سمينة ذات أثداء ضخمة و أنا أخبرها عن مقدار خوفي من الموت. .هكذا سوف أموت يا فتى. .

وصمت الاثنين للحظات قبل أن يضحكوا بشدة وليقول رولو وتأثير الضحك مازال علي نبرة صوته:

-هيا للنزل يا عجوز. .،قبل أن نصاب بالبرد. .

ورد عليه الأخير وتأثير الضحك مازال علي نبرة صوته هو الأخر:

-نعم. .،نعم أو افقك عليك هذا. .

***

يوم العيد ،عند المحرقة المقدسة..ظهراً

كان يجلس الرجل الأسود إياه الذي ظهر سابقاً في المجلس والمدعوة بغاندي والمعروف أنه الرجل الكبير في الدين لدى المملكة وهو بنفسه من قاد جنازة الأمير الراحل فلاما وألقى خطابة الشهير معزياً الملك والأميرة وكل الشعب يومها. .ولا ننسى أنه الرجل ذاته من نظر إلي بطلتنا فاطمة عند المحرقة يوم وفاة العجوز ورميه في النار المقدسة. يظهر غاندي بردائهُ المعروف البسيط وهو مستلقياً علي صخرة ما قريبة من رماد النار في يومٌ غير مزدحم بالجثث ،لأن العمال قليلون ويكاد لا وجود لهم بسبب تجهيزاتهم للاحتفال ليلاً بالعيد. .كان يؤرجح قدم فوق قدم وهو يتأمل السماء المليئة بالغيوم قبل أن يغفو فجأة

دون أن يشعر بشيء ،ويطير إلي عالم الأحلام أو ربما رؤية ما. .لا أحد يعلم وكان ما يراه:

وهو يركض في ظلام. .،يركض بسرعة ودون توقف وعلي ملامح وجهه نوعاً ما من الهلع والرعب يصاحبه صراخ وفجأة قد توقف عن كل هذا عندما رأي كياناً اسود ممسكاً بمنجل أمامه من بعيد ويقف مع سيدة لم يراها من قبل في أرجاء المملكة ووقتها قال وهو يقترب منهم:

-أنتِ. .،من أنتِ يا سيدة ؟!وما هذه الهالة السوداء. .ابتعدي عنها علي الفور. .

وكلما حاول الاقتراب بعدت المسافة أكثر و أكثر حتى اختفت هي والهالة التي كانت معها.. ، و قرر أن يتوقف عن المحاولة وينظر من خلفه ليجد هذه الفتاة الغريبة تقف بجواره ليفزع ويرتعب كما كان ويركض مرة أخرى. .وليقف وكأنه قد تذكر شيئا ما وقال بصعوبة وهو يستند بيده علي ركبته بعدما شعر بالتعب:

-لقد فعلت هذا من قبل. .،أشعر أني في دائرة ما لا نهاية لها. .،ربما. .ربما علي التوقف من الهرب..

والتفت من خلفه وتابع بعدما رأي أن الفتاة تقف مرة أخرى وأردف بتعجب وكأنه قد بدا يفهم ما من حوله:

-ما أمرك يا سيدة وما أمر الهالة السوداء و أين اختفت. .؟!

وكانت هذه السيدة هي فاطمة وكانت الهالة السوداء هي نفسها من ظهرت لها في أول يوم في المملكة عندما ظهرت من العدم فجأة وقالت فاطمة لهُ وهي تبتسم:

-أثبت يا غاندي كقضيب من الحديد حتى أجدك ووقتها سوف نتحدث عن كل هذه الأمور. .فهمت كلامي ؟! هنالك أشياء صعبة سوف تحدث فور أن تعود مرة أخرى ولهذا أستعد لها ولا تخف و انتظرني. .

واختفت فاطمة فجأة وقال غاندي وهو يحاول الإمساك بها:

-يا سيدة. .،يا سيدة انتظري. .لم أفهم بعد. .

وظهرت الهالة السوداء من أمامه وبصحبتها المنجل اللامع الضخم وقالت له بنبرة باردة جعلت غاندي يرتعش:

-يا غاندي. .،أذهب لم يحن وقتك بعد. .

واستيقظ الرجل الكبير من نومه والذي لم يدم نصف دقيقة وقال في فزع وهو يقوم من مكانه واضعاً يده علي وجهه في قلق وخوف ير افقهما عدم أدراك:

-يا بلاد ما وراء النهر. .ماذا ينتظرك ؟!

***

يوم العيد ،عند اقتراب المساء. .

كانت الأميرة قد دخلت فجأة علي والدها غرفته وهو يتجهز من قبل الخادمات وكعادته كان ينظر إلي النساء ويشتهيهم بنظر اته الحيو انية

وحتى أن اكبر دليل علي هذا هو قيامه من مكانه في توتر وقلق وكأنه قد أرتكب جريمة ما عند دخول ابنته. .،وقال و اقفاً في تلعثم وعصبية:

-أ..أنتِ يا عدمية. .الأخلاق كيف تجرئين علي دخول دون طرق الباب. .،ألا تتعلمي أبداً. .

وقالت الفتاة مقتربة منه متجاهلة كلامه وهي ترتدي فستان أزرق مرصع بالجواهر وشعرها الطويل الحريري كنهر يصل إلي ما أسفل ظهرها وعقد علي رقبتها ذهبي اللون يصل هو الأخر إلي أسفل صدرهاً بسبب طوله الواضح:

-أبي. .،لقد مر تقريباً شهران علي سجن عمي ،ألا ترى أنك تبالغ في هذا الأمر. .أنه من العائلة. .

و ابتسم الملك وكأنه نسى ما فعلته ابنته قبل قليل وقال وهو يخرج من جيبه مفتاح وقال فرحاً بكلام ابنته:

-أحسنت بالقلق علي عمك يا صغيرتي. .لقد أعجبني قلبك الكبير ،خذي المفتاح واذهبي برفقة أمرتي الصغيرة وأخرجيه كنت سأفعل ولكنك وفرتي علي. .

وفرحت لولو بكلام والدها واحتضنته ورحلت في طريقها قبل أن يوقفها الملك ويطلب منها قائلاً:

-إذا رائيتي آرسنوي في طريقك أخبريه أن الملك يريده علي الفور في شيء ما معهم. .

وهزت رأسها وذهبت وأحضرت آسلوج أبنتها من عند منالين وتحركوا في طريقهما إلي الزنزانة أسفل القصر..

***

عند الزنزانة أسفل القصر،عند حلول المساء تقريباً ومتبقي أقل من ثلاث ساعات علي خطاب الملك للشعب في الساحة الكبرى في وسط المملكة..

ثيو خلف القضبان يجلس ومن حوله عشرات قارورات الخمروفي يده واحدة مغلقة..،كان يجلس وحيداً عندما ظهر صديقة القديم والمقرب وهو آرسنوي ممسكاً بشمعة مقترباً من القضبان الحديدة نازلاً بركيته قائلاً بابتسامه قبل أن يقوم مرة أخرى مخرجاً مفتاحاً من جيبه :

-كيف حالك يا ملكنا القادم..؟!

وفورأن قال هذا فتح آرسنوي الزنزانة..

"في الجانب الأخر من الزنزانة قد وصلت الأميرة أخيراً وبرفقتها ابنتها الصغيرة وعندما رأت عمها خارج زنزانته تراجعت ونظرت لفتاتها الصغيرة وهي تخبرها أن لا تصدر صوت..واستمعت إلي حوراهما"

و ابتسم ثيو له وقال:

-كم متبقي يا رجل ،بدأتُ أشعر بالملل..

وقال الأخر أمامه في خبث وبرود:

-حالياً جنود الفرقة العامة كلها قد قبلت مسرعها يا ثيو بواسطة الرجل المقنع الذي وظفته..

فقال أصبع الحلزون فرحاً..:

-أخي أختفي أم ماذا ؟!

"وتغيرت ملامح الأميرة هنا ووضعت يدها علي فمها برعب وهي تتابع حديثهما في قلق وتوتر. ."

وقال بائع الخادمات رداً علي كلب الملك:

-عندما تذهب لغرفته لن تجده الآن. .لقد اهتموا به. .

و ابتسم رولو وظهرت ملامح النصر والغرور علي وجهه وقال واضعاً يده فوق رأسهُ:

-هذا حسنٌ. .،هذا حسنٌ جداً. .و أين رولو الآن ؟!

"في نفس هذه اللحظة تحركت أبنه الأميرة وصرخت بعدما رأت فأريمر أمامها علي الجدار قبل أن تضع أمها يدها علي فمها وتسكتها حتى لا يلحظ عمها وصديقه بشأنهما. ."

قال آرسنوي بعدما التفت متخيلاً أنه سمع صوتاً من خلفه وقال رداً علي ثيو:

-أن الفتى بعيداً عن مجموعته الميتة سلفاً يا ثيو ،فهو برفقة بيون العجوز منذ الصباح يتفقدون أرجاء الساحة وربما عاد قد عادوا الآن. .هل تريد لقائه الآن فور أن تصعد ؟!

وقال ثيو وهو يمر من جانبه ليصعد إلي القصر ولكن من طريق أخر أو بالتحديد السلم المؤدي إلي قاعة اجتماع الفرقة العامة وهو يقول دون النظر للأخر متابعاً طريقه:

-سوف أتفقد عمل صديقنا المقنع أولاً وبعدها أذهب لمقابلة رولو وأخباره بكل شيء. .

وهو يمشي نظر إلي الخلف وقال في تعجب:

-ألم تأتي أم ماذا ؟!

وقال آرسنوي وهو يقف في مكانة واضعاً أصابع يده في عقدة وكأنه يفكر في شيء ما ولا يريد أن يعلم به صديقة:

-عذراً يا صديقي علي الاهتمام ببعض الأشياء أولاً ،أسبقني وسوف ألحق بك بعض قليل. .

"كانت الأميرة قد هربت سلفاً ،بعدما حملت فتاتها الصغيرة وركضت في هرولة وهي تضع يدها علي فهما وملامح الرعب تملئ وجهها ونظراتها. ".

وقد صار وخرج ثيو من طابق السجن وظل الأخير في مكانه. .وفور أن تأكد أنه وحيداً.. تحرك إلي الجانب الأخر من الجدار الفاصل بين الزنزانات وفي نفس المكان الذي خُيل له أنه سمع صوتٌ من ناحيته. اقترب ونظر من حوله أولاً قبل أن يسقط نظرة علي الأرض ويلحظ ربطة شعر صفراء لا يرتدها أحد غير الأميرة و ابنتها وربما خطيبة رولو.

..وأمسك بها وفتح فاه بكل عرضه وحتى أن أسنانه البيضاء ظهرت بوضوح و اتسعت مقلة عينه وبارزة وكأنه ينتظر شيئاً مثل هذا قبل وقتاً طويل.

***

كان رولو يمشي وحده في القصر وهو يرى الجميع في حالة فرح ومرج. .وعجلة من حوله،وقد ابتسم لهم جميعاً إلا خطيبته التي مرت من جانبه برفقة آسلوج ولم تعيره أي اهتمام وكأن خصام قد حل بينهم في يوم العيد.

وصل إلى غرفته بعد دقائق من المشي ليتجهز هو الأخر ويأخذ قسطاً من الراحة وفور أن دخل وأغلق الباب من خلفه وجلس علي الأريكة.

..طرق باب غرفته بقوة وبسرعة ودون توقف ليقوم علي الفور ويفتح ويجد أنه فرو في حالة من الفزع والصدمة الواضحة علي أعينه ليتعجب وقبل أن يوجه له سؤالاً قال فرو وكأنه أصبح كتلة من الثلج لا مشاعر لها:

-سيدي. ..الفرقة العامة كلها ودون استثناء غيري أنا قد أُبيدت بالكامل. .

لم تتغير ملامح رولو فكان في البداية يعتقد أنه يمزح معه لا غير ولكن بعد لحظات عندما رفع الجندي أمامه يده أليسري الملطخة بالدماء وحالته ونظراته كما هي لم تتغير،وقتها تيقن القائد الشاب للفرقة

العامة أن هنالك خطبٌ ما. .وقال وهو يمشي من أمام الجندي وهو يأمره بقوة وبكل جديه:

-خلفي يا جندي. .،إلي قاعة الفرقة. .

وبعد دقائق قليلة وقف الاثنين أمام قاعة الفرقة العامة وكانت نظيفة وتلمع ولينظر فرو إلي سيده القائد وهو يحثه أن يصدقه قائلاً راكعاً له:

-يا سيدي. .،يا سيدي صدقني أن لا أكذب بشأن أي شيء من هذا. .لقد رأيتهم بأم عيني. .كانت أجسادهم مقطعة وبجانبها أجساد نساء كانوا يجلسون معهم. .لقد تفقد هذا بنفسي ،صدقني يا سيدي. .

ولم ينظر له رولو وظل للحظات و اقفاً حائراً وهو ينظر للغرفة الفارغة أمامه وليقول محركاً فمه أخيراً وسط بكاء وحث فرو له ليصدقه:

-فرو. .،أنا أصدقك قم من علي الأرض. .

وصدم فرو هنا من كلام سيده وقال في نفسه في عدم تصديق وكأنه لم يتوقع أن يصدق كلامه بعد رؤية هذا المنظر الغير متوقع :

-ماذا. .؟!

وأردف القائد كلامه:

-أن الغرفة نظيفة. .،نظيفة أكثر من المعتاد. .هذا غريب و أين الرجال الآن. .

والتفت إلي فرووهو علي الأرض مازال. .،ممسكاً بكتفه ر افعاً إياهُ قائلاً بقوة وعلي نظر اته ألسنة من نار تشتعل:

-أذهب إلي زنز انة أصبع الحلزون وتفقد أمره يا فرو سريعاً والحق بي بعدها وأخبرني ما ر أيته. .سوف تجدني في غرفة الملك ،هيا. .لا وقت. .وحاول أن تجد بيون في طريقك وأحضره معك. .

وتحرك كل واحدٌ في طريقة. .

***

وقف القائد العام أمام غرفة الملك ووضع يده علي المقبض ولم يحركه ونظرات الشك تملئ وجهه برفقة الاضطراب وكأنه يعرف سلفاً بأن من في الداخل ليس بعمه أبداً و إنما أحد نعرفه جيداً وهو بمثابة شيطان. .،وفي نفس الوقت يتمنى أن يكون علي خطأ وأن من يسقط عليه نظره هو الملك وينهى حيرته وقلقه الكبيران.

فتح الباب وكان أبيه من في الداخل وهو يرتدي الزى الملكي المخصص لكلمة الملك اليوم وفور أن أغلق رولو الباب من خلفه واستند عليه قال ثيو مبتسماً:

-ما ر أيك يا فتى بهذه الملابس. .ألا تراها تناسبني ؟!

كان يستند علي الباب بعدما أغلقه ناظراً إلي الأرض من أسفله دون النظر إلى أبيه وليقول ببرود أول مرة:

-أخبرني. .ماذا تريد ؟!لماذا تفعل كل هذا ؟!

فضحك ثيو وأجابه:

-أريد رأيك بهذه الملابس. .،ها أخبرني ما رأيك!؟

وتحرك رولو في ناحيته في هرولة إلى أن وصل ووقف أمامه ونظر في أعينه وهو يعاود السؤال مرة أخرى ولكن بغضب وعصبية :

-كنتُ أعلم أن هنالك ما تخطط له ولكن من المستحيل أن أفهم ما تفكر فيه ،هذا مستحيل. .الآن أخبرني. .،أخبرني يا أبي ،ما. .الذي. تريده..؟!

ونظر ثيو في أعين أبنه للحظات دون أن يبدي أي ملامح.، قبل أن يفلت ويزيح قبضته التي وضعها رولو عليه وليقول مبتعداً عنه وهو ينظر من الشرفة إلي ساحة المدينة وهي قد بدأت تعج بالناس:

-"ما. .الذي..أريده. .؟! ". .سؤالاً جيد يا بُني..،لا. .أريد. .شيء..

والتفت له بعدها وعلي أعينه نظرات تبث الرعب في أعين من يسقط عليها وكأن وحشاً يسكنها. .وأردف وهو يضحك محركاً يده يميناً ويساراً وكأنه يستعرض جسده:

-أفعل هذا لأني أريد و أقدر علي فعل هذا. .

وخاف رولو منه ورجع بضع خطوات إلي الخلف وقال في تلعثم وخوف:

-أنت مجنون. .،أنت مجنون حقاً. .أين عمي ؟! سوف نعتقلك يا أبي. .

وتحرك أصبع الحلزون وألقى بجسده علي فراش أخيه وهو يتحسسه بيده قائلاً في سخرية:

-يا ترى كم عاهرة قد أضُجعت هنا يا رولو..
فتعجب رولو من كلامه أما هو فصمت للحظات وتابع وهو يضع كلتا يدها خلف مؤخرة رأسهُ ،قائلاً متذكراً أحد الأشياء في الماضي :
-تعرف يا بُني في الماضي و أنا تقريباً في مثل عمرك ذهبت لأمي وأخبرتها أن زوجتي حاملٌ. ..عندها فرحت وأخرجت من جيبها شيء مثل نبتة قد ذبلت قبل وقتٌ طويل وأخبرتني وهي تطحنها وتضعها في لبن الماعز حتى أشربها..
"لقد شاهدتُ رؤية يا طفلي الصغير. ..شاهدتك تجلس علي كرسي وسط نيران لا تهدأ ،كنت رائعاً. ..كنت تبتسم حول هياكل الناس كلها الصارخة المتألمة بسببك. ."
فاعتدل بجسده وهو علي السرير وقال:
-لا تقلق بشأن عمك يا ولد أنه بأمان ولن تجده الآن. .فلقد قتلته وقطعت جسده. .
وصدم رولو من كلام أبيه وقال وعينه تدمع:
-أنت تكذب. ..أنت تكذب. .أخبرني أين هو و أين فرقتي. .أين الفرقة العامة إياها اللعين ؟!
وقام ثيو من مكانه وقال وعلي ملامح وجهه الانزعاج والعصبية:
-قتلت الجميع يا أحمق ،يا ضعيف. .هذا يكفي وجهز نفسك الآن لتقف بجانبي علي منصة. .هنالك شعب لكي أرعاه. .

وكان الشاب يقف أمامه في خوف وقلق وهو لا يصدق ما تسمعه أذناه وقال وهو يغادره مقترباً من الباب:

-أقف مع من. .هل فقدت صوابك ،أنت خائن سوف أقتلك. .سوف أجد فرقتي أولاً و أبدا بالبحث عن عمي. .

ووضع يده علي مقبض الباب وليوقفه أبيه قائلاً:

-الجيش كله تحت سيطرتي يا رولو إذا لم تخضع لأمري سوف أقتلك لا مفر من هذا. .،كما وضعت يدي علي الجيش سوف أفعل مع القصر أيضاً ،كل شيء تحت أمري يا أبني. .كن بجانبي وعش معي. .إذا عارضت أمري فسوف أقتلك. .لا تجعلني أفعل هذا..لا تغادرني. .

وحرك رولو مقبض القصر وقال قبل أن يغادر:

-سوف أغادر الجيش والقصر. .

ورحل رولو إلي غرفة الأميرة وفي طريقه قابل فرو والعجوز وقبل أن يسألوا علي ما يحدث تجاهلهم القائد. .وهو يشير لهم حتى يتبعوه. فوقف ثلاثتهم أمام غرفة الأميرة وكان القائد بينهما يقف وعليه ملامح الخوف ورنين كلمات أبيه تطرق علي طبول أذنيه وهي تقول:

-لقد قتلت عمك. .قد قتلت الفرقة كلها. .

فخاف خوفاً عظيماً لاحظه فرو وبيون بجواره وهم ينظرون إلي يده وهي تتر اقص علي مقبض الباب مع جسده أيضاً وكأنه قد وضع في كومة من الثلج.

العجوزينادي باسمه وهو لا يستمع من رنين الكلمات وكأنه في عالم أخر تماماً وبعد لاحظت وعندما ضرب العجوزكتفه بقوة أفاق وعاد للحياة مرة أخرى وهو يلتفت للعجوز القائل بغضب:

-أيها الأحمق. .،ما بالك. .ما الذي يحدث ؟!

وأجابه رولو وعلي نبره صوته وملامح وجهه الحيرة والتشتت:

-لا أعرف. .،ولكن انتظروني هنا ولا تسمحوا بأي أحد أن يدخل وحتى إذا كان أبي أو الملك أو أي شيء. .أخبروه أنها أوامر قائد الجيش الملكي واستخدموا أسمي لمنعه بأي شكل. .

وفهم الاثنين كلام القائد وقبل أن يدخل وضع العجوزيده علي كتفه وهو ينظر له في عطف وضيق بعدما رأي حاله:

-أنت القائد العام ومهما حدث سوف نتبعك وحتى إذا وقف العالم كله ضدك فنحن معك سنقف ضد العالم يا سيدي. .سوف نحميك أنت والأميرة من مكاننا هنا ،أذهب الآن وفوراً أن تخرج أخبرني بكل ما يحدث لأني. .لأني حقاً لا أفهم شيء إلي الآن وهذا الطفل الأحمق فرو من صعب أن تفهم منه شيء. .

ونظر له القائد و ابتسم وتغير حالة قليلاً بعد سماع هذا الكلام من معلمه ومعلم أخيه ونظر إلي فرو أيضاً والذي ابتسم هو الأخر له وعلي الفور لف القائد العام رأس المقبض ودخل غرفة الأميرة. .

***

فورأن دخل وجد الأميرة مستلقيةُ علي سريرها وفورأن لاحظته قالت بتعب وهو يغلق الباب من خلفه:

-رولو. .،لقد تأخرت. .

وتعجب رولو من كلامها وقال ساخراً:

-هل أنت تعبه أم ما..

وقبل أن يتابع وفورأن أقترب من مكانها لاحظ أن الأميرة مطعونة بخنجروتنزف دماً بغزارة وحتى أن بركة قد تكونت بجانبها. .هرع رولو علي الفورونزل بركبتيه بجانبها وأمسك بيدها وهو ينظرلها في حيرة وقلق:

-لولو. .،ما الذي حدث. .؟! من فعل هذا بكِ ؟!

وقطع من ملابسه قماشه وقبل أن يبدأ في محاولة لوقف النزيف وضعت الأميرة يدها علي وجهه وقالت بتعب:

-لا بأس يا رولو. .لا بأس. .

وعلم رولو وقتها أنها تعلم سابقاً أن نزيف مثل هذا من صعب أقافه وليمسك يدها بقوة وعلي ملامح وجهه الحزن والحسرة يتبعهم بكاء:

-أن أبي وراء كل هذا يا لولو. .عمك من فعل هذا بنا ،لقد أخبرني بكل شيء. .أنا لا أعلم ما يجب علي فعله. .

و ابتسمت الأميرة وهي تنظرله بفرح وقالت رداً علي كلامه والدماء علي جسدها تزداد:

-لا يهم السبب يا رولو. .عليك أن تصحح الأوضاع فقط ،أن كل شيء يقع فوق عنقك من الآن وصاعداً يا وقح..

ودفن القائد رأسه في سرير الأميرة وهو يمسك بيدها ويبكي وينحب بقوة دون توقف علي أبن عمه دون أن يتحدث لتتابع هي:

-يا أبن عمي. .قم من مكانك وخذ الصغيرة من منالين وأجمع كل من يثق وتثق به وغادر القصر ولا ترجع إلا في الوقت المناسب. .

وسحبت بعدها الأميرة يدها من بين يد رولو بكل قوة في تعب وحتى أن الدماء قد بدأت تنزف من فمها مما يعني أن وقتها قد أقترب. .،قالت وهي تنظر إلي سقف غرفتها والأخير ينظر لها ومازال يبكي:

-هيا. .قم ،غادر يا أحمق. .

ونظر لها ومسح دموعه وهز رأسه وتحرك نحو الباب وقبل أن يغادر قالت الأميرة أخر كلمتها:

-رولو. .،لا تنسى أن تضحك لآسلوج ولكل الناس كما فعلت في الجنازة. .

وشعر رولو أن الوقت قد توقف عندما أحس بدموعه تهبط أضعاف ما فعلت قبل لحظات ليلتفت بوجهه فقط وهو يبتسم وسط كل هذه الدموع علي خده وسيلان أنفه بالمخاط الأبيض ومع حركة شفتيه الر اقصة وهو يحاول أن يتمالك نفسه:

-ح..حسناً ،أميرتي. .

وغادر رولو الغرفة وقالت الأميرة وهي تبتسم:
-لقد نادني بأميرتي ولكن متأخرة. .إلي اللقاء جميعاً ،ورجاءاً اهتموا بآسلوج فهي صغيرة لا تعلم شيء بعد. .

***

بالعودة إلي اليوم الحاضر بين بس وفاطمة..
كان بس قد انتهى من شرح كل شيء قد حدث قبل عامان لفاطمة الغريبة في هذه الأرض والتي علي ملامح وجهها الحزن والضيق من سماع هذه القصة التي تقرأها في الرو ايات وتراها في الأفلام فقط ولتقول وهي تنظر إلي كادي النائمة بجانبها وعلي نبرة صوتها الحسرة:
-مسكينة الأميرة آسلوج. .
وأشاحت بنظرها من عليها ونظرت إلي رولو وهو يستعد للخروج من الكوخ البسيط هذا وقالت في تعجب:
-وماذا بعد يا قائد. .ما الذي تخطط لفعله ؟!
ابتسم رولو والتفت بوجهه وقال عند الباب قبل أن يخرج وهو ينظر إلي الغريبة:
-سيدة فاطمة. .أنا رجل قد فقد فرقته كلها وفقد عمه الملك و أبنته ومعهم أخي الحبيب وبيون العجوز و ابتعدت عن زوجتي التي لا أرها إلي مرتين في الأسبوع علي حسب الظروف. .

-كل هذه الأشياء برفقة آسلوج المسكينة التي فقدت أبيها وأمها . .،كل هذا حدث بسبب شخصٌ واحدٌ. .

-إذا فلا تسألني ماذا سوف أفعل. .لأني أفعل بالفعل..،كل شيء علي وشك أن يحدث سيكون من خططي ،منذُ لحظة خروجي من القصر و أنا أجهز لتحركي. .فقط. .،فقط أنتظر اللحظة المناسبة لا أكثر. .

وقامت فاطمة من مكانها وقالت بعدما أحست أن القائد يخفي خلف هذه الابتسامة وحشاً علي وشك أن يخرج:

-وما الذي تفعله وتجهزه يا قائد. .،ومتى يصير..؟!

فقال مغادراً في ضيق:

-انقلاب. .،لأعيد كل شيء لمساره الصحيح. .سوف أقتل أبي وكل جندي يقف بجانبه. .،يوم اختفاء القمر القادم بعد أقل من شهرين سوف ينتهي كل هذا..

النهاية

***

إلى أين أنت بذاهب الآن. .!!،أنا لم أنتهي بعد كما ترى ،فكل ما حدث وذكر..لا هو إلا بجزء بسيط يمهد الطريق إلي ما هو قادم من أحداث. .فهذا الصراع الكبير بين رولو الشاب الضاحك وأبيه أصبع الحلزون علي وشك أن يدخل قمته ويشتعل كبركان..،مع تداخل العديد من الأشخاص أيضاً مثل فاطمة وفرو ،ومنالين وأمثالهم كثيرين. .

تمت

28\9\2023

***

أشكر ربنا

إلي اللقاء مع الكتاب الثاني من رواية صاحب المنجل |القصة الأولى بعنوان "الانقلاب"